الاستدراك

على كتاب قل ولا تقل

مباحث لغوية فيها استدراك
على كتاب « قل ولا تقل » الذي
ألفه العلامة الدكتور مصطفى جواد

تأليف

صبحي البصام

الطبعة الأولى

مطبعة المعارف - بغداد
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٧ م



مباحث لغوية فيها استدراك
على كتاب « قل ولا تقل » الذي
ألفه العلامة الدكتور مصطفى جواد

تأليف

صبحي البصام

الطبعة الأولى

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٧ م

هدية إلى الأستاذ الأديب الناقد
الباحث اللغوي البارع الحجة صبحي
البصام الصديق الوفي الزكي
حفظه الله تعالى

مصطفى جواد

١٤/١٢/٦٩



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، واياه أستعين • قال صبحي البصام : كان أستاذي وصديقي العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله شرع في نشر تصحيحات لغوية في بعض الصحف العراقية عنوانها « قل ولا تقل » ، وذلك قبل نحو من خمس وثلاثين سنة ، وكانت في اول أمرها بلا شرح ولا شواهد ، قوامها «قل كذا ولا تقل كذا» قُصد منها الى تصحيح ما يقع فيه أهل الادب من غلط لغوي في منثورهم ومنظومهم ، وكنت أقرؤها معجباً بها ، وشبابي غضّ ، وغرس علمي محلحل الجذر ، ضعيف الساق • واتفق أن قلت له ذات يوم : لعلي أشرح تصحيحاتك معززاً شرحي بالشواهد ، فأدعو ذلك : ذرّ الفلفل على قل ولا تقل• فنصح لي وهو يبتسم أن لا أكلف نفسي مشقة ذلك ، لأنه سيغنيني عنه • ثم إنه انقطع عن نشر تصحيحاته ليستأنفه بعد سنوات في صحيفة عراقية أخرى مع شروح يسيرة وشواهد قليلة • ثم أصاب قلبه داءٌ عياءٌ سنة ١٩٦٥م ، ولم يكن معنياً بالحمية(*) التي تخفف من طئة مرضه ، ولا بأخذ دواء طبيبه ، وربما زوى وجهه عن الدواء الذي وصفه له لمدة طويلة ليعود اليه مضطراً • ثم تناصرت عوادي الداء على قلبه ، حتى جعلته قعيد داره لايريم منه الا محمولاً الى مستشفى، يتضوّر من وجعه ، ويقطّع من أنينه ، وقد شحب لونه ، وغارت عينه ،

(*) اتفق ان دعوته الى « السينما » لمشاهدة « فلم » لممثل امريكي مشهور ، ولم يكن المرض اشتد عليه ، واشتريت ونحن في طريقنا الى « السينما» قدراً كبيراً من الفستق طعاماً لببغائي ، فلما استوينا على مقعدينا ناولته شيئاً يسيراً منه ، وقلت له جاداً هازلا معاً : قليله نافع من خفقان القلب ، وكثيره يفضي الى وخامة على المعدة والى اذى القلب المريض ، فأكله على الفور ، وقال مداعباً : « هات مزيداً ولا تخبر ببغاءك بذلك » ، فناولته شيئاً منه ، ثم ناولته مراراً ، وهو يأكل أكلا ذريعا ، حتى اتى على الفستق جميعاً ، وشعر باسترخاء ، فأغمض عينيه وأغفى ، وضاع علينا ماكنا جئنا من أجله •

ونحل جسمه ، ودق عظمه • وما أجد بأساً في ان استطرد في مرضه ، على أن أعود الى « قل ولا تقل » بعدُ ، فأقول : قال لي ذات يوم ، وكنت أكثر من عيادته ، : انت من المعنيين بالطب القديم ، فأسألك ان تأتيني بدواء ينفعني • فقلت له : كتب الطب القديم التي بين يديّ تقول في مرض القلب إن أمره موكول الى الطبيب ولا تذكر دواء لـه • ولكنه طفق يلحف في سؤاله كلّ عيادة أعوده إيّاها وأنا أتأبّى عليه • فلما يئس مني أخذ يشرب شيئاً من مركبات « الكولا » قال انه وقف على منفعته القلب من كتاب في الصيدلة أُلّف قبل نحو من مئة سنة • فقلت له : «الكولا» إن نبّهت القلب فانها تضرّه في الوقت نفسه ، فكيف تجيز لنفسك استعمالها ؟ فقال : انما فعلت ذلك بعد أن أبيتَ أن تسعفني بحاجتي الى الدواء ، فأتيته بورد لسان الثور وبالحب الذي يقال له « بلنكو » ، ونصحت له أن يجرّب كلاً على حدة ليتخيّر بعدُ ما قد يجده موافقاً له ، على أن لا ينكّله ذلك عن استعمال دواء الطبيب ، فاختار ورد لسان الثور على « البلنكو » ، وقال لي : اعتدت أن اعاني من وجع في صدري يشبه حزّ السكين ، فاذا شربت ورد لسان الثور خفّ الوجع بقدر كبير • وعدته في داره يوماً سنة ١٩٦٧م ، فقال لي: إن دائي غير مدفوع عني ، وإن المحذور غير ممنوع مني ، وكأني أرى قبري مهيأً وكفني معدّاً ، فخذ هذه الصحيفة واقرأهـا وامضهـا لتكـون بعض شهودها • فلما نظرتُ فيها اذا هي وصية الموت ، وقد بدأها بقوله : « هذا ما أوصى به مصطفى بن جواد ••• » ، فأمضيتها وأنا أمسح دمعتين تحيّرتا في عينيّ ، وكلمته بما يطيّب من نفسه، ويشد من عزمه• ولما علمت انه يشتغل في بضعة كتب لطبعها ، قبل ان تنتهي مدته وينقضي أجله ، سألته إن كان نوى جمع تصحيحاته « قل ولا تقل » في كتاب مطبوع ، فقال : هيهات ، فان الغلط في اللغة قد فشا فشوّاً ذريعاً ، فلا سبيل الى تلافيه بـ « قل ولا تقل » ولا بغيرها • فلما رسخ في ذهني أن طبع تلك التصحيحات ليس من وكْده

ولا قصْده ، رجوته أن يطبعها ، وألححت عليه في الرجاء ، وزيّنت له مزية ذلك ، ووقفته على ما يجره من خير الى أهل الادب ، وما يعقبه له من حسن الأحدوثة ، فقال : أفعل ذلك باذن الله • ثم إني عدته في داره قبل أن يتوفّاه الله بأربعة أيام ، وكانت وفاته في شتاء سنة ١٩٦٩م ، فاذا هو يناولني الجزء الاول من كتابه « قل ولا تقل » هدية قبل ان يصير الى باعة الكتب ، وقال لي مداعباً : « قد أغنيتك عن ذرّ الفلفل عليه » ، فعجبت أن أجده يذكر شيئاً قلته قبل سنين تكاثر عددها ، وتواتر نكدها ، حتى نسيته أي نسيان • ولم تعنّي الحال على دراسة كتابه رحمه الله إلاّ سنة١٩٧٦م إبّان اقامتي في لندن لنحو من سبعة أشهر ، فوجدته قد أدرج فيه كثيراً مما كان نشره مع شرح فيه تبيين وتفصيل، فاجتمع فيه تصحيحات لسبع وعشرين ومئة غلطة• ولكني وجدت البون بائناً جداً بين اعجابي بتصحيحاته قبل نحو من خمس وثلاثين سنة واعجابي بها الآن ، ذلك بأن طائفة منها استحال أمرها عندي من واجب الى جائز ، ومن مركون اليه الى منظور فيه ، ومن مؤيد الى مفنّد ، ومن مأخوذ به الى مُطَّرَح كالنفيّ من الغربال • ووجدت طائفة أُخرى منهـا قد سبقه اليها جماعة من العلماء ، فرأيت أن انبه على ذلك جميعا لأشاركه في خدمة لغتنا العربية الكريمة ، ونصرة حقها الذي لامحيد عنه • وكنت على أن أتخذ من دراستي الكتاب مقالة أبعث بها الى مجلة مجمع اللغـة العربية بدمشق ، فوجدت أن الباب قد اتسع ، والطريق قد طال ، وأن المقالة صلحت لأن تكون كتاباً ، فجعلتها كذلك بعـون الله وتوفيقه ، وسمّيته «الاستدراك على كتاب قل ولاتقل» • وقد انتفعت في اثناء تأليف هذا الكتاب بكتب المكتبة البريطانية الكائنة في بناية المتحفة البريطانية في لندن ، وكتب المكتبة الشرقية لجامعة لندن ، ثم بكتبي وأوراقي اللغوية والادبية بغداد •

وقد تفضل عليّ صديقي الأديبالشاعر فاضل مهدي حفظه الله وبلّغه مناه ، بأن وعدني بتولي أمور طبعه ،كمراجعة المطبعة وتصحيح المسوّدات ،

وذلك إبّان غيبتي عن العراق لمدة طويلة ابتداء من شهر أيار ١٩٧٧ م ، وليس ذلك منه بغريب ، فقد تكون آصرة الأدب أوثق من آصرة النسب ، وقد يكون ودّ الصديق أصدق من ودّ الشقيق ، ويروقني بهذا أن اشكر له شكراً جزيلاً ، وأن اثني عليه ثناء جميلاً ، وأن أزيده شكراً وثناء ما وجدت أوراقي التي أنا مسلمها إيّاه قد اجتمعت في كتاب • وأسأل الله تعالى أن يدرأ عني مسرب الشطط ، ومركب الغلط ، ومعارّ القصور ، ومضارّ الغرور • ووافق الفراغ من تأليف الكتاب وتدوين مقدّمته اليوم الثاني عشر من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين وثلاث مئة والف الهجرية ، الموافق لليوم الأول من نيسان من سنة سبع وسبعين وتسع مئة والف المسيحية •

تنبيه

قد وجدت استاذي الدكتور مصطفى جواد رحمه الله يكثر من الاستشهاد لآرائه في كتابه « قل ولا تقل » بكتب المولدين ، من علماء الدولة العباسية ، ممن عُرف بجودة لغته ورصانة أسلوبه ، كابن المقفع والجاحظ وابي حيان التوحيدي ، وقد يهبط من هذه الطبقة الى طبقة ابن الجوزي وياقوت الحموي وابن أبي الحديد ، وهو تسمّح نرتضيه لايماننا بنشوء اللغة ونمائها ، وتساهل نجيزه لعلمنا أن المدوّن من أدب الجاهلية وصدر الاسلام لم يحوِ كلام العرب كله ، فظل قدر كبير منه يجري على الألسنة ، حتى دُوّن في أيام الدولة العباسية ، بتأليف الكتب التى لا تحصى كثرة ، فان كان جرى عليه تغير ففي جزء يسير منه ، لا يغض من جوهره ، ولايؤثر في أصالته . اما الدخيل منه فبادر العلماء الى التنبيه عليه ، فما ثبت صلاحه للعربية ضُمّ اليها ، وما لم يثبت صلاحه لها نفي منها . وعندي أنّ جلّ ذلك الكلام الذي ضمته الكتب صالح لضبط لغتنا ، وتنميتها ، خصوصاً في عصرنا الحديث . وإن كان علماء اللغة في صدر الدولة العباسية الذين قعّدوا قواعدها ، ويسروا مواردها ، أخذوا بتدوين ما ينطق به الفصحاء من أهل الوبر ، دون المجيدين في اللغة من أهل المدر ، فذلك منهم استغناء بالأجود عن الجيد . اما اليوم وقد انتهى زمان الأخذ عن اهل الوبر فما أحرانا أن نأخذ بذلك الجيد ، وقد ازداد جودة باستعماله في آلاف الكتب العربية الحافلة بالآداب والعلوم والفنون . ثم ان ما كان في العصور العباسية حديثاً ، ورُغب عنه لحداثته ، قد صار قديماً في عصرنا هذا، يُرغب فيه ويُحنّ اليه ويُعتمد عليه ، خصوصاً بعد أن ضعفت لغتنا العربية ، بكياد أعدائها اياها ، وحياد ابنائها عنها ، وقد سبقنا عبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ الى الاستشهاد بكلام الجاحظ المتوفى سنة

٢٥٥هـ ، ففي نقده على اهل البديع تكلفهم فيه نقل كلاماً للجاحظ في نحو خمسة أسطر من أول كتاب « الحيوان » جاء فيه : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ... وعرّفك ما في الباطل من الزلة ، وما في الجهل من القلة »[١] ، وأشار الى ترك الجاحظ التوفيق بين الشبهة والحيرة في الاعراب ، والى غير ذلك مما استهان به للغض مما يأتيه متكلفو البديع في كلامهم. وسبقنا السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ الى الاستشهاد بالحريري المتوفى سنة ٥١٠ هـ ، فقال في كتابه « المزهر في علوم اللغة وانواعها » في ذكره الألفاظ التي وردت مثناة : «وقال عمر رضي الله عنه أملكوا العجين فأنه أحد الريعين ، وفي مقامات الحريري : العقوق أحد الثكلين »[٢] . على أنـي لا أنكر ان علماء الدولة العباسية وغيرهم لم يبرؤوا مما يُستدرك به عليهم ، وهذا خارج عن غرضنا ، وانما غرضنا الاقتداء بكلامهم الذي ورد في كتب كثير منهم ، ولم يُستدرك عليه برأي قاطع ، أو دليل واضح . وانا حاذٍ حذوه ، رحمه الله ، فيما أخالفه فيه ، فأستند عند اقتضاء الحال الى نصوص المولدين المجيدين في اللغة ، كما فعل هو .

---

(١) ص ٦ و ٧ من « اسرار البلاغة في علم البيان » تحقيق محمد رشيد رضا . مطبعة الترقي بمصر ١٣١٩ هـ .

(٢) ج٢ ص ١٨٥ تحقيق محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد ابي الفضل ابراهيم . الطبعة الاولى .

المتجوّل والمجوّل والجوّال والجوّالة

نسب المؤلف رحمه الله في مقدمة كتابه أغاليط الى الدكتور طه حسين ، وجدها في كتابه «الأيام» ، فقال : «والمتجوّل بمعنى المجوّل ص ٩٥ » [٣] أراد أن «المتجوّل» غلط وان الصواب «المجوّل» ، ولم يذكر سبباً لتغليطه اياه ولا شاهداً على وجه الصواب . وقد سبقه الى ذلك الأستاذ أسعد خليل داغر في كتابه « تذكرة الكاتب » ، فقال : « ويقولون : وأخذ يتجوّل في قراها ،ولمكاتبنا المتجوّل،وفي كتب اللغة :جوّل الرجل تجوالاً ، ولم يسمع تجويلاً ، طوّف . فالصواب أن يقال يجوّل ومجوّل لأن تجوّل لم ينقل عن العرب» [٤] .

قلتُ : « المتجوّل » صحيح ، وهو مشتق من « تجوّل » الدال على تكرار حدوث الفعل ، وقد استعمل المرزوقي مصدره في « شرح ديوان الحماسة» ، قال : «وتستغني عن السعي والتجوّل معه ، فتريح نفسك من الحَلّ والترحال في طلبه » [٥] . أما «المجوّل» فصحيحة كذلك، وهي من « جوّل » ، قال في « مختار الصحاح » : « وجوّل في البلاد بالتشديد أي طوّف » . ومن استعمال جوّل قول العديل يخاطب الحجاج :

هأنذا ضاقت بي الأرض كلها   اليك وقد جوّلت كل مكان [٦]

ويصح أن يقال « جوّال » وهو من صيغ المبالغة ، وفي الامثال : « كلب

---

(٣) ج١ ص٣ من مقدمة كتاب « قل ولا تقل » . مطبعة الايمان . بغداد ١٩٦٩ م .

(٤) « تذكرة الكاتب » ص ١٤٦ المطبعة العصرية . القاهرة ١٩٣٣ م .

(٥) ص ١٧٣٣ القسم الرابع . تحقيق احمد امين وعبدالسلام هارون . الطبعة الاولى ١٣٧١هـ ــ ١٩٥١م .

(٦) «الاغاني» لأبي الفرج الاصبهاني ج٢٢ ص ٣٤١ تحقيق عبدالكريم العزباوي ومحمود محمد غنيم واشراف محمد ابي الفضل ابراهيم ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣ م .

جوّال خير من أسد رابض» [٧] • ويصح أن يقال «جوّالة» وهو من صيغ المبالغة ، قال المرزوقي في شرحه قول الشاعر :

في بعض تطواف ابن طُعـ ـمة آمناً لاقى حمامه

قال: «فكأنّ هذا الرجل كان جوّالة» [٨]، وقال الزمخشري في «أساس البلاغة»: « وجوّل في البلاد وطوّف ، وهو جوّالة جوّابة» •

خصّصه له وخصصه به

ومما نُسِبَ من أغاليط الى الدكتور طه حسين قوله « خصصه له » بدلاً من «خصصه به» في ص ١٠٤ و١٢٩ و١٨٦ من «الأيام» ، وقال :«وقد وهم الوهم نفسه قبله الشيخ ابراهيم اليازجي ، لغة الجرائد ص٩٣ » [٩] •

قلت : اللام ههنا للاختصاص ، نحو «الجنة للمؤمنين» و «هذا الحصير للجامع » ، وربطها بخصّ واختصّ هو لمزيد الاختصاص ، وقد استعملها الفرّاء في كتابه « المذكر والمؤنث » ، قال : «دعاهم الى ذلك ان هذا وصف لا حظّ فيه للذكر وانما هو خاص للمؤنث » [١٠] ، واستعملها ابن خالويه في «اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم » ، قال : «لأن الرحمن اسم خاص لله» [١١] ، واستعملها محيي الدين بن العربي ، قال : « وللشيخ ثلاثة مجالس ، مجلس للعامة ، ومجلس لأصحابه ، ومجلس خاص لكل مريد على انفراد ••» [١٢] ، واستعملها الشهرستاني في «الملل والنحل» ، قال :

---

(٧) « ادب الدنيا والدين » لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي • الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢م •

(٨) « شرح ديوان الحماسة » • القسم الثاني ص ٩٩٩ •

(٩) ص ٦ من « قل ولا تقل » •

(١٠) ص ٣ تحقيق مصطفى احمد الزرقا • الطبعة الاولى • المطبعة العلمية حلب ١٣٤٥هـ •

(١١) ص ١٣ مطبعة دار الكتب المصرية • القاهرة ١٣٦٠ هـ ــ ١٩٤١م •

(١٢) رسالة « الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من المشروط» ص ٢٢٥ ، والرسالة مع رسائل في مجموع عنوانه « التحفة البهية والطرفة الشهية » ، مطبعة الجوائب • قسطنطينية ١٣٠٢هـ •

«وكان نوع الانسان متميزاً عن سائر الموجودات ، بالاستعداد الخاص لفيض تلك الانوار »[١٣] ، وقال الزمخشري في « خ ص ص » من أساس البلاغة: « ... وقد اختصصته لنفسي ... » .

ومما عدّه غلطاً في كتاب « الايام » غير ما ذكرت : «لا يتعرض للشك» و « أمامه » بمعنى بازائه وقبالته وتجاهه وسيأتي الكلام على كل منهما في موضعه .

أيهما أفضل العلم أم المال ؟

وقال : « قُل أيّما أفضل العلم أم المال ؟ ولا تقل أيهما أفضل العلم أم المال ؟ ص٢٠ » ، أراد أيهما وما هو بسبيلها نحو أيكما وأيهم ، وانما خصها بالذكر لغلبة استعمالها . وذكر سبباً نحوياً لرأيه هذا ، قال : « وذلك لأن (هما) في قولك (أيهما) ضمير يعود الى اسم ظاهر متأخر عنه لفظاً ورتبة عوداً غير مجاز » ، وقال : « ان التركيب مخالف للمنطق اللغوي » .

قلت : لنا ان نقول « أيهما أفضل العلم أم المال ؟» محتذين مثال نصوص كثيرة ، وهذه مُثُل منها :

(١) جاء في «نهج البلاغة» : «وسئل عليه السلام : أيهما أفضل العدل أو الجود ؟»[١٤] .

(٢) وفي «طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين» لابن سلام الجمحي أن أبا العطاف قال إن شاباً لقي الفرزدق ، فقال له : «أيهما أحب اليك تسبق الخير أو يسبقك ؟ »[١٥] .

(٣) وفي « الأغاني » أن ام عمر بنت مروان قالت لطويس المغني :

(١٣) ص ١١٢ مطبعة بولاق بمصر ١٢٦٣ هـ .
(١٤) ج٤ ص ٦٥٥ شرح الشيخ محمد عبده ، طبعة دار الاندلس . بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣ م .
(١٥) ص ١٢٥ طبعة بيروت . بلا اسم مطبعة ولا تاريخ .

« أيهما أحبّ اليك العاجل أم الآجل »[16] .

(٤) وفيه ، أن المغيرة بن حبيب قال لشاعر عبدالله بن سالم : « أيهما أحبّ اليك أ أفرض لك ام لابنك يونس ؟ »[17] .

(٥) وفيه ، أن جويرية بن أسماء قال ان عمه قال : « فقلت له : فدتك نفسي ما أدري أيهما أحسن ، أحديثك أم غناؤك ؟ »[18] .

(٦) وفيه ، أن أبا البيداء قال : « يا أبا الهذيل ، أيهما أشعر أجرير ام الفرزدق ؟ »[19] .

(٧) وفي « العقد الفريد » : « وقيل لشريح ، أيهما أطيب الجوزنيق أو اللوزنيق ؟ قال : لست أحكم على غائب »[20] .

(٨) وفيه : « وقيل لأبي وائل : أيكما اكبر أنت ام الربيع بن خثيم؟»[21] .

(٩) وفيه ، أن بعض ملوك فارس سأل وزيره قائلا : «أيهما أغلب على الرجل الأدب او الطبيعة ؟ »[22] .

(١٠) وفي « الحيوان » للجاحظ : « وقيل لابنة إياس : أيهما أشد ، الشتاء أم الصيف ؟ »[23] .

---

(١٦) ج١٩ ص ١٦٩ تحقيق عبدالكريم ابراهيم العزباوي واشراف محمد أبي الفضل ابراهيم ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

(١٧) ج٢٠ ص ٩ تحقيق علي النجدي واشراف محمد ابي الفضل ابراهيم ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢ .

(١٨) ج ٢٠ ص ٣٧١ .

(١٩) ج٢١ ص ٣٩٤ تحقيق عبدالكريم ابراهيم العزباوي ومحمود محمد غنيم واشراف محمد ابي الفضل ابراهيم ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

(٢٠) ج ١ ص ٩١ تحقيق أحمد امين وأحمد الزين وابراهيم الابياري . القاهرة ١٩٦٧م « تصوير مكتبة المثنى » .

(٢١) ج٢ ص ٤٢٤ .

(٢٢) ج٣ ص ٤ .

(٢٣) ج٥ ص ٢٢٤ طبعة بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م .

(١١) وفي « الأمالي » للقالي : « ذكروا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أيهما أطيب العنب أم الرطب ؟ فقال عمر ارسلوا الى أبي حثمة ، فقال : يا أبا حثمة ، أيهما أطيب الرطب أم العنب؟ »[٢٤] .

(١٢) وفي « أخبار أبي نؤاس » المنسوب الى ابن منظور : « قيل لأبي تمام : أيهما أشعر أنت أم ابو نؤاس ؟»[٢٥] .

(١٣) وفي « المحاسن والاضداد » المنسوب الى الجاحظ خطأ[٢٦] أن امرأة سألت رجلا من بني عامر قائلة : « أيهمـا أحسن جردة الرجل أم المرأة ؟ »[٢٧] .

(١٤)وقال الحريري في المقامة السادسة والعشرين المعروفة بالرقطاء : «ولم أدرِ بأيهما أنا أضفى فرحاً وأوفى مرحاً أبا سفاره من دُجُنّة أسفاره ، أم بخصب رحاله ، بعد إمحاله .. »[٢٨] .

(١٥) وفي « حياة الحيوان » للدميري قال المؤلف ناقلاً من كتاب لابن الجوزي : «ركب المعتصم الى خاقان يعوده ،والفتح بن خاقان صبيٌّ يومئذ، فقال له المعتصم : أيهما أحسن دار امير المؤمنين أم دار أبيك ؟ قال اذا كان

---

(٢٤) ج٢ ص ٥٨ تحقيق الاب أنطون صالحاني · الطبعة الثانية ـ مطبعة دار الكتب ـ القاهرة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦ م ·

(٢٥) ص٦٣ تحقيق شكري محمود أحمد· مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٩م·

(٢٦) مما يدل على خطأ نسبته الى الجاحظ أني وجدت فيه اسم ابـن المعتز مع نثر وشعر له في ص ٣٦ و ٣٩ و ١٠٠ و ١٢٤ و ٢٣٣ مع ان عمره كان نحو ثماني سنوات حين توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ ، ومنها أني وجدت اسم الشاعر ابن لنكك في ص ٢٨٨ مع بيتي شعر له مع انه من اعلام المئة الرابعة الهجرية وممن عاصر المتنبي وهجاه ، وانما ينتحل الوراقون اسم الجاحظ ونحوه لتنفق سوق كتبهم ·

(٢٧) ص ١٧٩ طبعة الشركة اللبنانية للكتاب · بيروت ١٩٦٩ م ·

(٢٨) ص ٢٦٠ مقامات الحريري · المطبعة الحسينية المصرية ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥ م ·

أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن »(٢٩) .

أقول : هذه النصوص وغيرها كثير جاءت في كتب معتمدة ، ونطقت بها ألسن ميزت جيّد الكلام من رديئه ، وعندي أن الذي يختار « أيهما » على « أيّما » انما يفعل ذلك لفائدة بلاغية ، فيجمل كلامه بأيهما تعجيلاً في تفهيم المخاطب ، ليفصّله استناداً الى إجماله . فاذا شئت أن تسأل بعضهم « أيهما تفضل العلم أم المال ؟» كان ابتداؤك بـ « أيهما » مؤذناً المسئول ، قبل أن تتم سؤالك ، أنك تريد منه تعيين واحد من اثنين ، فيتجه فكره الى جهة واحدة مع تهيّؤ للجواب ، واذا بدأت بـ «أيّما» فقد يتوزع فكره مع بعض التحيّر ، لاحتمال طلبك اليه تعيين واحد أو أكثر ، واحتمال ارادتك المدح كقولك « أيّما رجلٍ عرفتُك » ، ومنه قول الراعي النميري :

فأومأت إيماءً خفيّاً لحبتر فللّه عينا حبتر أيّما فتى (٣٠)

واحتمال قصدك الى الشرط كقولك : « أيّما فقير تشاهدْهُ فساعدْهُ » ، ومنه قول الله عزّ وجلّ : «أَيَّما الأجلين قضيتُ فلا عُدوانَ عليَّ » (٣١) .

ان علماء النحو ، ولاسيما الذين برزوا بعد المئة الثالثة الهجرية ، مع غزارة علومهم وحدّة فهومهم ، لم يستقروا كتب الأدب ، وقد انتشرت في أزمانهم أي انتشار ، لذلك أغفلوا الاشارة في كتبهم الى استعمال « أيهما » الذي نحن بصدده . ولا عجب في ذلك ، فهم لم يستقروا القرآن الكريم استقراء تاماً ، مع أن عنايتهم بالنحو كانت من أجله بوجه خاص ، فكيف يستقرون كتب الادب وهي كثيرة جداً ؟ ومع أن ابن هشام ذكر في « مغني اللبيب »(٣٢) المواضيع التي يعود الضمير فيها على متأخر

---

(٢٩) ج١ ص ٢٢٧ المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٩ هـ .

(٣٠) « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي . القسم الثالث ص ١٥٠٢ .

(٣١) سورة القصص ، الآية ٢٨ .

(٣٢) ج٢ ص ٤٨٩ ـ ص ٤٩٣ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . مطبعة المدني . القاهرة .

لفظاً ورتبة ، وهي سبعة ، ومنها ما ندر استعماله ، نجده يسكت عن « أيهما »، ولو كانت تأدت اليه نصوصها المقدّم ذكرها ، مع كثير غيرها ، لأعمل فكره فيها ، فزانها باقرار ، أو شانها بانكار ، والاقرار به أحجى ، وله أزكى . وعلى كل حال ستظل «أيهما» متألقة في الكلام الأنيق النظـام ، الحسن المعنى ، الجيد البلاغ .

المذكور آنفاً أو المذكور أو المقدّم ذكره أو المتقــدم ذكــره

وقال رحمه الله : « قل الشيء الذي ذكرته آنفاً او سالفاً أو المذكور آنفاً ، ولا تقل : الشيء الآنف الذكر _ ص ٤٧» .

قلت : هذا تصحيح حسن ، والشائع في عصرنا هذا قولهم «الآنف الذكر » ، ولا يكاد أهل الادب يعرفون غيره . وأزيد عليه أنه يجوز أن يقال « المذكور » بدلاً من « المذكور آنفاً » اكتفاء واجتزاء . قال الجاحظ بعد أن ذكر الضب : « وأناس يزعمــون أن أكل لحم الحيوان المذكور يطول العمر» (٣٣) ، وقال محمد بن احمد الجرجاني بعد ذكر «كتاب الجوابات»: « وقرأت في الكتاب المذكور أن الأحنف لما قدم على معاوية كان عنده عمرو ابن العاص .. » (٣٤) ، وقال المسعودي بعد أن ذكر التوراة وأحد ملوك اليهود : « وان المحدث لهذه التي بأيديهم هذا الملك المذكور لأنه جمعها ممن كان يحفظها من بني اسرائيل ، وان التوراة الصحيحة هي التي فـي أيدي الأسامرة دون غيرهم »(٣٥) ، وقال ابن الساعي في كتاب «نساء الخلفاء» المسمى « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء » ، بعد أن ذُكر اسـم

---

(٣٣) « الحيوان » ج٦ ص ٤٦٧ طبعة بيروت .

(٣٤) « المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء » ص ٧٣ الطبعـــة الاولى ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦هـ _ ١٩٠٨ م.

(٣٥) « مروج الذهب » ج١ ص ٦١ الطبعة الخامسة ١٣٨٧هـ _ ١٩٦٧ م.

عمرو بن بانة : «وقيل : بل أهداها عمرو المذكور للواثق» (٣٦) . وقد يستعمل بعضهم الوجهين ، كقول ابن جبير في رحلته : «وفي صبيحة يوم الجمعة من الشهر المذكور آنفاً ..» (٣٧) ، وقوله : حاذينا البرَّ المذكور تقديراً لا عياناً» (٣٧) . ويجوز ان يقال «المقدَّم ذكره» ، كالنص الوارد في «وفيات الأعيان» وهو : «.. يمدح بها الصاحب أبا القاسم اسماعيل بن عبّاد المقدَّم ذكره» (٣٨) . ويجوز أن يقال «المتقدِّمُ ذكرُهُ» ، كقول قدامة بن جعفر في كتابه «نقد الشعر» وهو : «فقد تصرّف في الأبيات الأولى في أصناف المديح المتقدِّم ذكرها» (٣٩) . ويجوز أن يقال «وقد مضى متقدّماً» ، كالذي جاء في «الاغاني» في خبر عبدالله بن محمد بن أبي عيينة ، فقد ذُكر له بيتان ، وقيل بعدهما : «وذكر باقي الأبيات ، وقد مضت متقدّما» (٤٠) .

عرِّض للتعذيب وتعرَّض له

وقال : «قل عُرِّض فلان للتعذيب والعقوبة والأذى ، وجُعل عُرضة لها ، ولا تقل تعرّض لها – ص ٤٩» ، وقال شارحاً : «وأصل هذا الغلط في استعمال تعرض ما ذكرناه من كلام الاديب الكبير المقدّم ذكره في المقدمة (٤١) ، وهو من ذوي الأساليب التي أقتدي بها ، وشاعت بين فريق

---

(٣٦) ص ١٠١ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، طبعة دار المعارف بمصر بلا تاريخ .

(٣٧) ص ٣ ثم ص ٦ من طبعة المكتبة العربية ببغداد ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م .

(٣٨) ج٥ ص ٦١ .

(٣٩) ص٥ من «نقد الشعر» تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الاولى بمصر ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨ م .

(٤٠) ج٢٠ ص ٩٤ تحقيق علي النجدي واشراف محمد ابي الفضل ابراهيم ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢ م .

(٤١) ذلك في ص ٥و٦ من مقدمة «قل ولا تقل» ، ويراد به الدكتور طه حسين .

من الكتّاب ، والسبب في غلط الاستعمال أن تعرّض يدل على رغبة الفاعل في الفعل والمفعول به إن وُجد ،والمعذّب أو المعاقب أو المؤذى كائناً ما كان الأذى لم يرغب في العذاب والعقوبة والأذى ، وانما قُهر وأُجبر على مكابدتها » ، وذكر نصوصاً فيها شواهد على استعمال «تعرّض» نقلها من مقاييس اللغة والصحاح ولسان العرب والمصباح المنير والأغاني والحيوان والاكليل ووفيات الأعيان وشرح لابن أبي الحديد في نهج البلاغة ، واستدل بها « على أن الفعل تعرّض ومصدره التعرّض يفيدان رغبة الفاعل في الفعل والمفعول به ـ ص٥٠ » ، ولكنه قال ان صاحب « الصحاح » قال : «وعرّضه لكذا فتعرّض » [٤٢] ـ أي أن عبارة الصحاح نقضت ما بناه ـ وقال إن العبارة وردت في مختار الصحاح واللسان منقولة من الصحاح ، وانها مخالفة للواقع اللغوي ، وإن ما ورد في هذه المعجمات « هو من دعوى وجود المطاوعة التي أصبحت حديث خرافة ـ ص ٥١ » .

قلت : كان ذكر في ص ٥ و ٦ من مقدّمة كتابه بأن أساس الغلط في استعمال « تعرّض » هو الدكتور طه حسين ، ثم أعاد ذلك في ص ٤٩ ، ثم نسي ذلك في ص ٥١ ، فعزى الغلط نفسه الى ثلاثة معجمات عربية قديمة معتمدة . ومعلوم أنه لا يُعزى غلط الى معجم من معجماتنا القديمة بغير نصوص قوية تقطع بغلطه ، فكيف يعزو الغلط الى ثلاثة معجمات قديمة اتفقت على حقيقة معينة ، متكلاً على نصوص يتخيّرها ، غافلاً عن غيرها ، مما يُبطل رأيه ؟ إن ما جاء في هذه المعجمات حجة ظاهرة عليه ، عدا ما أنا محتج به من شواهد :

(١) جاء في «كليلة ودمنة» : «...لأنه اذا اجتمع عليه هذان الصنفان

---

(٤٢) الذي جاء في « الصحاح » هو : « وعرّضت فلانا لكذا فتعرّض هو له » تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٦ م .

فقد تعرّض للهلاك »[٤٣] ، فتعرّض ههنا مطاوع عرّض ، وجملة « تعرّض للهلاك » لا تنبىء عن أن الفاعل فيها ، وهو ضمير ، له ميل الى الهلاك أو رغبة فيه •

(٢) وجاء في « الحيوان » قول للجاحظ هو : « فاذا أفرط المديح وخرج من المقدار ، أو أفرط التعجيب وخرج من المقدار ، احتاج صاحبه الى أن يُثبت بالعيان أو بالخبر الذي لا يكذّب مثله ، والا فقد تعرّض للتكذيب» [٤٤] ، وتعرّض ههنا مطاوع «عرّض» ، وغير معقول أن يتعرض المادح للتكذيب رغبة فيه •

(٣) وفي «العقد الفريد» أبيات لأبي فحمة ، وهي :

أصبحت منك على شفا جُرُفِ ... متعرّضاً لموارد التلفِ
وأراك نحوي غير ملتفتٍ ... متحرّفاً عن غير منحرفِ
يا من أطال بهجره كلفي ... أسفي عليك أشد من كلفي[٤٥]

فهو يشكو الى حبيبه ما جرّه عليه هجره ، فيقول : « أصبحت • • • متعرضاً لموارد التلف» ، مستعملاً اسم الفاعل من «تعرّض» ، وسياق الكلام يدل على عدم الرغبة في التعرّض للتلف •

(٤) وجاء في «الهفوات النادرة» لمحمد بن هلال الصابيء شعر لأحمد ابن أبي طاهر ، وهو :

قل للخليفة يا ابن عمّ محمد ... أَشكلْ وزيرك إنه محلولُ
فلسانه للشتم في أعراضنا ... والرجل منه في الصدور تجولُ

---

(٤٣) ترجمة ابن المقفع ، نشر المكتبة الاموية بدمشق •
(٤٤) ج٥ ص ٢٢٠ تحقيق عبدالسلام محمد هارون • الطبعة الاولى ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م •
(٤٥) ج٦ ص ١٧٠ •

كم طالب لظـــلامة أو حاجـة   متعرض لكلامـه مركول[٤٦]

فهل يصح أن نقول فيمن يشتمه الوزير ويركله إنه «متعرّض» لذلك رغبةً منه فيه ؟

(٥) وجاء في «أبو الطيّب ماله وما عليه» قول لمؤلفه الثعالبي هو :«حصل كلامه بـين طرفي نقيض وتعرّض لاعتراض الطاعنين »[٤٧] ، وقد مضى من شرحي «تعرّض» و «مُتعرّض» في النصـوص المقدّم ذكرها ، مايغني عن مزيد شرح •

(٦) وجاء في «معجم الأدباء» أبيات لمحمد بن أحمد المعروف بابن بشران هذا أولها :

ولا تعرّض ذكر من سكن النضا   ما كان قلبي للضنى متعرّضاً[٤٨]

وقال ياقوت الحموي في محمـد بن أحمد هذا : «أحد الأئمـة المعروفين ، والعلماء المشهورين ، تجمع فيه أشتات العلوم ، وفنون الرواية والدراية ، والفهم وشدة العناية ، صاحب نحو ولغة وحديث وأخبار ودين ، واليه كانت الرحلة في زمانه »[٤٩] •

(٧) وقال محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية : « وانظر الى الحواس التي منها تشرف على الأشياء كيف جعلها الله في الرأس كالمصابيح فوق المنارة لتتمكن بها من مطالعة الأشياء ،ولم تُجعل فيالأعضاء التي تمتهن كاليدين والرجلين فتتعرض للآفات بمباشرة الأعمال والحركات »[٥٠] •

---

(٤٦) ص ٢٦١ تأليف غرس النعمة ابي الحسن محمد بن هلال الصابىء • حققه وعلق عليه الدكتـور صالح الاشتر • مطبـوعات مجمـع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م •

(٤٧) ص ٧٧ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد • مطبعة حجـازي بالقاهرة ، بلا تاريخ •

(٤٨) ج١٧ ص ٢١٦ مطبوعات دار المأمون • القاهرة ١٣٥٦هـ ـ١٩٣٦م •

(٤٩) ج١٧ ص ٢١٤ و ٢١٥ •

(٥٠) « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والافادة » ج ١ ص ٢٧٥ الطبعة الاولى بمطبعة دار السعادة بمصر ١٣٢٣هـ •

وقد يكون انكاره رحمه الله استعمال «تعرّض» بمعنى «عُرّض» وبلا دلالة على رغبة الفاعل في الفعل ، جاءه من قول لابن فارس في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها» (٥١) وهو «وتفعّل يكون لتكلف الشيء وليس به ، نحو تشجّع وتعقّل ، ويكون بمعنى إفعلْ نحو تعلّمْ بمعنى إعلمْ » ، فان كان ذلك جاءه من ابن فارس ، وقد استشهد رحمه الله بآرائه كثيراً في «قل ولاتقل» ، فابن فارس لم يُرد من ذلك القول الاطلاق ، وإنما أراد التغليب ، لأن عنوان قوله هو «باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر » ، ولو كان أراد أن يستوفي معاني تفعّل لكان واجباً عليه أن يذكر تَفَعَّل مطاوعاً لفُعِّل نحو : عُرِّض للأذى فتَعَرَّض له . ويظهر مما قدّمت من نصوص ، ومما أشارت اليه المعجمات الثلاثة ، أن مطاوعة الفعل ليست حديث خرافة ، ومما جاء منها على وزن تَفَعَّلَ ـ عدا تَعَرَّض المذكورة شواهده آنفاً ـ تأكّدَ وتَحَيَّر وتَوَفَّق وتفهَّمَ وتَعلَّم ، تقول : أكّدتُ الأمرَ فتأكّدَ ، وحيَّرتُ فلاناً فتحيَّرَ ، ووفَّقَه الله فتَوَفَّقَ ، وفهَّمتُهُ الأمرَ فتفهّمه ، وعلَّمتُهُ الدرسَ فتَعَلَّمه . قال في المصباح المنير : «أكّدته تأكيداً فتأكّد» ، وفي مختار الصحاح : «حَيَّرَه فتحيَّرَ» ، وفي أساس البلاغة : « لايتوفَّق العبد حتى يوفّقه الله تعالى » ، وقال الرضيّ الاسترابادي : «وأما تَفَعَّل فانه وإن وُضع لمطاوعة فَعَّل كما ذكرنا ، لكنه انما جاز نحو فهّمتُه فتَفَهَّم وعلّمته فتعلَّم لأن التكرير الذي فيه كأنه أظهره وأبرزه حتى صار كالمحسوس» (٥٢) .

فلك أن تقول : عُرِّض فلان للأذى أو تعرَّض له لأنهما بمعنى . فان قيل : ألا لبس في استعمال تعرَّض ولها معنيان متضادّان ؟ قلتُ :

(٥١) ص ١٨٩ مطبعة المؤيد في القاهرة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م .
(٥٢) « شرح كافية ابن الحاجب » ج١ ص ١٠٣ طبعة مطبعة حجازي .. القاهرة ١٩٣٩ م .

سياق الكلام يدفع اللبس ، ولولا سياق الكلام لخفي علينا معنى كثير من كلام العرب •

السكك الحديد والسكك الحديدية

وقال رحمه الله : «قل السكك الحديد ولاتقل السكك الحديدية – ص ٧٠ » ، وقال شارحاً السبب : « وذلك لأن السكك المذكورة مصنوعة كلها من الحديد ، ولم يضف اليها شيء آخر من الفلزات والمعدنيات ، وكان الناس يقولون : سافر فلان في قطار السكة الحديد ، وكذلك كانوا يكتبون ، حتى ظهر مؤلف «تذكرة الكاتب» أسعد خليل داغر ، فدعا الناس الى ترك هذه العبارة مع أنها صحيحة ••• ص ٧٠ » ، ونقل قول الأستاذ أسعد خليل داغر من تذكرته ص ٤١ ، وفحواه أن الصواب سكة الحديد أو السكة الحديدية ، وقال فيه إنه من الأوهام ، ثم قال: «تقول الخاتم الذهب لأنه كله من الذهب •• أما اذا أضفت الى ذهب الخاتم قليلاً من فضة أو غيرها مثلاً فحينئذ تقول : الخاتم الذهبي ، للدلالة على أن أكثره ذهب» ، وقال إن هذا مقرر في كتب النحو ، وذكر قاعدة نحوية فيه ، من غير أن يذكر اسم القائل بها ، ولا الكتاب الذي نقل منه ، ولم يستشهد للسكة الحديد الا بحديث نبوي واحد [٥٣] ، وقال إنه من الأحاديث المختلقة ، ولكنه يعتمده لجريانه على الألسنة قبل أكثر من ألف سنة •

قلت : إن السكك الحديد والسكك الحديدية بمعنى واحد ، وكلاهما صحيح ، ولكن ترك الاضافة أصح ، فلا وجه لأن يخطيء أستاذي الاضافة أو أن يغض من شأنها ، ولا وجه لأن يخطيء الأستاذ أسعد خليل داغر عدمها •

---

(٥٣) نص الحديث هو : « تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة لأهلها أسرع هلاكا في الارض من السكة الحديد في الارض الرخوة » •

شواهد هي نظير السكة الحديدية : فأما الاضافة فكقول أبي نؤاس :

تدار علينا الراح في عسجدية   حبتها بأنواع التصاوير فارس[٥٤]

قال الزجاجي في أماليه في « عسجدية » الواردة في البيت المذكور : « والعسجدية كأس مصنوعة من العسجد وهو الذهب »[٥٤] • وكقول المرزوقي في " شرح ديوان الحماسة » : « والمراجل جمع مِرْجَل وهي القِدْر العظيمة النحاسية »[٥٥] • وكقول ابن جبير في رحلته : «وقد أُخرج له من الكعبة ووُضع في قبّته الخشبيّة »[٥٦] ، ولكنه قال من بعد : «•• وعلى كلّ واحد من هذه المواليد قبة خشب صغيرة»[٥٦]، فدلّ بنصّيه هذين على أن الخشب والخشبية عنده بمعنى ، وأنه لايؤثر أحدهما على الآخر • وإن كان الحديث المختلق اعتمده أستاذي لمضي أكثر من ألف سنة عليه فقد مضى أكثر من ألف سنة على وفاة أبي نؤاس وعلى شارح بيته الزجّاجي ، ومضى نحو من ذلك على وفاة المرزوقي •

شواهد هي نظير السكة الحديد : وأما عدم الاضافة فكقول تأبط شرّاً :

فلا يبعدنّ الشنفرى وسلاحه الـ   حديد وشدٌّ خطوُه متواتر[٥٧]

وكالذي جاء في خبر أورده أبو حيّان التوحيدي في « البصائر والذخائر » ، وهو أن زاهداً نظر الى ملك فقال : « باب حديد ، وموت عتيد ، ونزع شديد ، وسفر بعيد »[٥٨] • وكالذي جاء في « الأغاني » في خبر يزيد بن معاوية وهو : «فضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان

---

(٥٤) ص ٩٥ من «الامالي» للزجاجي • شرح احمد الامين الشنقيطي • مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٤ هـ •
(٥٥) القسم الثالث ص ١٠٤٨ •
(٥٦) ص ٩٣ ثم ١٢٣ •
(٥٧) «الأغاني» ج ٢١ ص ١٨٣ •
(٥٨) ج ١ ص ١٨ حققه وعلق عليه الدكتور ابراهيم الكيلاني • مطبعة الانشاء بدمشق ١٩٦٤ م •

في يده فهشمه حتى انحرق ، فضرب عليه لوح من ذهب ، فهو عليه الى اليوم »[٥٩] .

وقد تدخل « من » على الفلز والمعدن ، كما جاء في النص المذكور ، وهو : « فضرب عليه لوحٌ من ذهب » ، والتقدير لوح صُنع من ذهب .

أما أن ترك الاضافة أصحّ فلأنه هو الأصل . وقد ارتضت لغتنا قولهم : العسجديّ والنحاسيّ والخشبيّ ونحوها ، لقصدهم الى تأكيد الصفة ، وجريهم على قول العرب : « الأحمريّ » في « الأحمر » . فإن أنف بعض علماء الدولة العباسية أن يروا باب الاضافة يتسع باتساع الترجمة عن لغات الأعاجم ، كاليونانية والسريانية ، فذلك بعيد مما نحن فيه ، مع أنه ثبت صلاح أكثره للغة العربية .

أما قوله إننا نقول الخاتم الذهب لأنه كله من ذهب فاذا أُضيف الى ذهبه قليل من فضة أو غيرها قلنا الخاتم الذهبيّ ، واستناده الى قاعدة نحوية فيه ، فمدفوع مع القاعدة النحوية ، لخلوّ العربية من شواهد لغوية تدلُّ على ذلك ، ولايرادي نصوصاً تدل على عكسه ، وهي قول أبي نؤاس وإقرار الزجاجي إياه ، وقول المرزوقي ، وقول ابن جبير ؛ ولأن الخاتم الذهب ما قيل له ذهب الاّ بعد أن أضيف إليه النحاس قبل صوغه بمقدار يختلف باختلاف حاجات الناس وبلدانهم وأزمانهم ، وتلك حال سائر المصوغات الذهب .

مصاير ومكايد ومكاين ومصايد

وقال : « قل مصير الأمة ومصاير الأمم ، ومكايد السياسة ، ومكينة ومكاين ، ومصيدة ومصايد ، ولا تقل : مصائر الأمم ومكائد السياسة ، ولا مكائد ومصائد ــ ص ٧٧ » ، وقال شارحاً السبب : « وذلك لأن الياء

---

(٥٩) ج ١٧ ص ٢١٠ .

في المصير والمكيدة والمكينة والمصيدة أصلية لامجتلبة ... فالياء الأصلية تبقى ياءً في الجمع ولا تقلب همزة ـ ص ٧٧ » ، وقال : «وكذلك الأمر في الألف المنقلبة عن الواو نحو المجاز والمدار والمعاد والمراض فانها تجمع على المجاوز والمداور والمعاود والمراوض بالمحافظة على الواو الأصلية التي قلبت في المفرد ألفاً ، فالمجاوز من جاز يجوز ... ص ٧٧ » .

قلت : ممن سبقه الى ذلك في عصرنا هذا الشيخ ابراهيم اليازجي فيما نشره في مجلة الضياء أو البيان ، ثم جمع في « لغة الجرائد » ، فقال باختصار : « ويقولون في جمع المغارة مغائر بالهمزة وصوابه مغاور بالواو كما يقال في جمع مفازة مفاوز لأن حرف المدّ اذا كان اصلاً لايهمز ، ومثله قولهم معائب ومشائخ ومكائد بالهمزة أيضاً ، وصوابها بالياء »[٦٠] .

على أن هذا مما اختلف فيه علماء الدولة العباسية ، وكان قال فيه استاذي العلامة طه الراوي ، رحمه الله ، قولاً بارعاً سنة ١٩٣٦ م ، وهو :

« وقالوا تبدل الهمزة من حرف المدّ الزائد الواقع بعد ألف مفاعل نحو عجائز وصحائف وسفائن ، والأصل عجاوز وصحايف وسفاين . وقالوا : واذا كان حرف المدّ أصلياً امتنع قلبه همزة ، مثل معايب ومعاون فلا يقال فيهما معائب ومعائن ، ولما عورضوا بقول العرب مصائب ومنائر قالوا بشذوذهما ، وأوردت عليهم قراءة نافع أحد القرّاء السبعة (لهم فيها معائش) فقالوا هي خطأ ، كأن نافعاً جاء بها من عند نفسه ، ولم يروها عن العشرات من الثقات »[٦١] .

قلت : جاء في المصباح المنير في « معائش » : « .. وقيل هو من

---

(٦٠) ص ٣٢ من «لغة الجرائد» للشيخ ابراهيم اليازجي . مطبعة التقدم بمصر بلا تأريخ .

(٦١) من مقال عنوانه «نظرة في النحو» نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في المجلد ١٤ الجزء ٩ و ١٠ الصادرين في أيلول وتشرين الاول سنة ١٩٣٦ م .

مَعَشَ فالميم أصلية ووزن معيش ومعيشة فعيل وفعيلة ، ووزن معائش فعائل ، فتهمز ، وبه قرأ أبو جعفر المدني والأعرج » . وأظنّ أن الأصل القديم جداً في هذه الجموع ونحوها الهمز ، مع ثقله على الأحشاء في النطق ، ثم آثر جُلّ العرب أن يتخلصوا منه ، برده الى أصله إن كان واواً أو ياء ، كالذي جرى في مفاوز ومشايخ ، فاجتمع لذلك لدى علماء الدولة العباسية من الجموع المهموزة وغير المهموزة ما ادى الى الاختلاف في صوابه وخطئه .

أجاب عن السؤال وعليه وفيه

وقال رحمه الله : « قل أجاب عن السؤال إجابة ، وهذا جواب عن الكتاب ، ولاتقل أجاب على السؤال إجابة ، وهذا جواب على الكتاب ـ ص ٧٩ » . وقال : « وذلك لأن المسموع عن العرب والمذكور في كتب العربية هو أجاب عن السؤال لا أجاب عليه ، لأن معنى الفعل (أجاب) يستوجب استعمال (عن) لافادة الازاحة والكشف » ، ثم استشهد بقول في لسان العرب ، وهو « أجاب عن سؤاله وقد أجاب إجابة وإجاباً وجواباً وجابة » .

وقد سبقه الى ذلك الأستاذ أسعد خليل داغر ، بقوله في « تذكرة الكاتب » : « ويقولون : أجاب عن سؤاله وذهب يفتش عليه ، فيعدّون كلاً من هذين الفعلين بعلى ، والصواب أن يعدّى الفعل الأول بنفسه أو بعن أو بالى ، فتقول أجبته سؤاله وعن سؤاله أو الى سؤاله ، وأما الفعل الثاني فيعدّى بنفسه إن أريد استعماله بمعنى تصفّح نحو فتشت الكتب ، ويعدّى بعن إن كان بمعنى سأل واستقصى في الطلب نحو فتشت عنه » (٦٢) .

قلت : يجوز أن نقول « أجاب عن السؤال » وهو أصل ، وأن

---

(٦٢) ص ٣٢

نقول « أجاب على السؤال » و « في السؤال » وكلاهما فرع . وأنا باسط الكلام على ذلك ههنا بعض البسط :

شواهد « أجاب عن » الأصل في « الاجابة عن » السؤال والكتاب ونحوهما استعمال عن ، لأن معنى « أجاب عن » كما ذكر هو يدلّ على الازاحة والكشف ، ولما كان ذكر شاهداً واحداً على استعمال « أجاب عن » هو من كلام صاحب لسان العرب ، أو من نقل عنه ، أذكر ههنا بعض الشواهد لتعزيز التعدية بعن :

(١) جاء في « نهج البلاغة » كتاب للامام علي الى معاوية ورد فيه قوله : « ثم ذكرت ماكان من أمري وأمر عثمان ، فلك أن تُجاب عن ذلك لرحمك منه .. »[٦٣] .

(٢) وجاء في « كليلة ودمنة » : « فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب »[٦٤] .

(٣) وجاء في « الأغاني » خبر لأبي عبيدة يفيد أن جندلَ بن الراعي النميري هجا امرأة له من بني عُقيل ، ثم قال ابو عبيدة : « فقالت مجيبة له عن ذلك :

عُقيلية حسناء أزرى بلحمها طعامٌ لديك ابن الرّعاء قليلُ »[٦٥]

(٤) وقال قدامة بن جعفر في « نقد الشعر » : « وإلاّ فليس في أقسام الاجابة عن مطلوب اذا سُئل عنه غير هذه الأقسام»[٦٦] .

(٥) وقال ابن الانباري في « الانصاف في مسائل الخلاف » : « وأما

---

(٦٣) ج٣ ص ١٤٤ .
(٦٤) ص ١٤٤ .
(٦٥) ج ٢٤ ص ٢١٨ تحقيق عبدالكريم العزباوي والدكتور عبدالعزيز مطر واشراف محمد أبي الفضل ابراهيم ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
(٦٦) ص ١٣١ .

الجواب عن كلمات الكوفيين : قولهم إنه مشتق من الوسم ...» [٦٧] .

شواهد « أجاب على » : ويقال « أجاب على » بمعنى « أجاب عن» ، وتحل « على » محل « عن » في مواضع ذكر منها ابن قتيبة في « أدب الكاتب » [٦٨] قولهم « رضي عليه » بمعنى « رضي عنه » ، واستشهد بقول القُحيف العُقيلي :

اذا رضيتْ عليّ بنو قُشير   لعمر الله اعجبني رضاها

و « رمى على القوس » بمعنى رمى عنها ، واستشهد بقول القائل « أرمي عليها وهي فرع أجمعُ » ، و « عقل عليه » بمعنى عقل عنه ، واستشهد بقول ذي الاصبع :

لم تعقلا جفرة عليّ ولم   أُوذِ صديقاً ولم أنل طَبَعا

و « ولّى على » بمعنى ولى عن ، واستشهد بقول دوسر بن غسان :

اذا ما امرُؤ ولّى عليّ بودّه   وأدبر لم يصدر بادباره وُدّي

وقال ابن هشام في « مغني اللبيب » [٦٩] إن من معاني « على » المجاوزة كعن ، وشرح شرحاً لم يزد فيه على ماذكره ابن قتيبة .ووجدتُ « ذهب عليّ » بمعنى « ذهب عني » في قول لابن سلام في « طبقات الشعراء الجاهلين والاسلاميين » ، وهو : « فمن الحديث ماجاء على وجهه ، ومنه ما ذهب معناه علينا للاختلاف فيه » [٧٠] . ووردت «أجاب عليه » بمعنى أجاب عنه في مواضع عديدة من كتب الأدب ، وهذه طائفة منهــا :

---

(٦٧) ج١ ص ٥ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م .

(٦٨) ص ٥٠٣ ـ ص ٥٠٥ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٥٥ هـ .

(٦٩) ج ١ ص ١٤٣ .

(٧٠) طبع بيروت . بلا اسم مطبعة ولا تاريخ .

(١) جاء في « كليلة ودمنة » : « ورتّب فيه خمسة عشر باباً ، كل باب منها قائم بنفسه ، وفي كلّ باب مسألة والجواب عليها ، ليكون لمن نظر فيه حظ من الهداية »(٧١) .

(٢) وفي « الحيوان » : « قال ابو اسحٰق : والجواب على ذلك أننا نزعم أن الغالب على العالم السفلي الماء والأرض»(٧٢) .

(٣) وفيه : « وجوابي على ذلك أن الله عزّ وجل لم يكن يخبرنا أنه قد كان علّم آدم كلّ شيء يعلمه تعالى »(٧٣) .

(٤) وفي « الأغاني » قول لبعضهم هو : « إنه أراد العبث بك وهو نبطيّ فأجبه على هذا »(٧٤) .

(٥) وفيه خبر رواه جحظة عن علي بن يحيى المنجم جاء فيه : « فشاعت الأبيات حتى بلغت البحتري ، فضحك ثم قال : هذا الأحمق يرى أني أُجيبه على مثل هذا »(٧٥) .

(٦) وقال ابن جني : « وقد كان أبو عليّ رحمه الله كتب اليّ من حلب جواباً على سؤالي إياه عنها »(٧٦) .

(٧) وقال التبريزي : فان قال قائل : فهل للعشية صوت ؟ فالجواب على هذا أن التقدير : وسحاب عشية متجاوب إرزامها ثم حذف »(٧٧) .

---

(٧١) ص ٦٠ .
(٧٢) ج ٥ ص ١٨٩ طبعة بيروت ١٩٦٨م .
(٧٣) ج ٥ ص ٢٥٨ طبعة بيروت ١٩٦٨م .
(٧٤) ج ١٧ ص ٦٨ و ٦٩ تحقيق محمد علي البجاوي واشراف محمد ابي الفضل ابراهيم . مصر ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م .
(٧٥) ج ٢١ ص ٥٣ .
(٧٦) « الخصائص » ج ٣ ص ٣٢٨ .
(٧٧) « شرح القصائد العشر » ص ١٣٦ الطباعة المنيرية ١٣٥٢ هـ .

(٨) وقال ابن منظور ، بعد أن ذكر أبياتاً لأبي نؤاس في هجاء محمد ابن رباح المعروف بزنبور ، قال : « وكان جواباً على ما كان هجاه به زنبور »[٧٨] .

(٩) ولشيوع « أجاب على » في الكلام الفصيح استعملها المسعودي ، كقوله في كلامه على ساحرة هي أم لبعض ملوك مصر : « وكانت وهي ميتة تخبرهم بالعجائب وتجاوبهم على كلّ ما يسألون »[٧٩] .

(١٠) وللسبب نفسه استعملها ابو الثناء الآلوسي في عنوان كتاب له ، وهو « الأجوبة العراقية على الأسئلة الايرانية » ، وقال فيه : « ومحصّل الجواب على هذا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أخّر تلك الصلوات يوم الخندق ... »[٨٠] .

حلول «في» محل «على» : ومن المفيد ان أمهّد لشواهد « أجاب في » بدلاً من « أجاب على » بكلام على حلول « في » محل « على » . فقد ذكر ابن قتيبة في « أدب الكاتب »[٨١] قولهم « لايدخل الخاتم في إصبعي » أي على إصبعي . وقول الله عزّ وجل « ولأصلبنّكم في جذوع النخل »[٨٢] أي على جذوع النخل . وقول الشاعر « بطل كأن ثيابه في سرحة » أي معلّقة على سرحة . وذكر المبرد في « الكامل »[٨٣] كلاماً في ذلك ، وقال في قول الله عزّ وجل « أم لهم سلم يستمعون فيه »[٨٤] إن المعنى يستمعون عليه . وفي « ديوان النابغة » ، صنعة ابن

---

(٧٨) « أخبار أبي نؤاس » ص ٣٧ .
(٧٩) « أخبار الزمان » ج ١ . الطبعة الاولى بمصر ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .
(٨٠) ص ٢١٧ . مطبعة الصنايع بدار السلطنة العلية ١٣٠٧ هـ .
(٨١) ص ٥٠٢ .
(٨٢) سورة طه ، الآية ٧٩ .
(٨٣) ج ٣ ص ٨٢٣ تحقيق أحمد محمد شاكر . الطبعة الأولى بمصر ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م .
(٨٤) سورة الطور ، الآية ٣٨ .

السكّيت[٨٥] ، قول لابن السكيت في قول النابغة :

فظل يعجم أعلى الرّوق منقبضاً
في حالك اللون صَدْقٍ غير ذي أَوَدِ

وهو : « لأنه طعنه الثور وحمله في قرنه ، وفي ههنا بمعنى على ، كما تقول صلى في ثيابه وفي خُفّيه » •

ومما وجدته في كتب الأدب استقراء مما تحل فيه « في » محل « على » ماهذا بيانه مختصراً ، مع ذكر الشاهد على « على » وهو الأصل ، فالشاهد على « في » وهو الفرع :

(١) يُقال « نزل عليهم » و « نزل فيهم » • جاء في « الأغاني » : « أَنّ امرأ القيس •• لما سار الى الشام يريد قيصر نزل على السموأل » [٨٦] ، وجاء فيه : « وكان عامر بن يزيد نازلاً في أخواله » [٨٦] •

(٢) ويقال « لامه على كذا » و « لامه في كذا » • جاء في « الأغاني » عن المدائني أنه قال : « ••• فكتب اليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك » [٨٧] • وقال الله تعالى : « فذلكنّ الذي لمتنّني فيه » [٨٨] •

(٣) ويقال « عكف عليه » و « عكف فيه » • قال عنترة :

تركتُ الطير عاكفة عليه كما تردي الى العرس الغواني[٨٩]

---

(٨٥) ص ١١ تحقيق الدكتور شكري فيصل • طبعة دار الفكر ببيروت ١٣٢٨ هـ ـ ١٩٦٨ م •

(٨٦) ج ٢٢ ص ١١٨ ثم ص ٦١ •

(٨٧) ج ٢ ص ١٧٦ طبعة دار الكتب المصرية •

(٨٨) سورة يوسف ، الآية ١٢ •

(٨٩) « شرح ديوان عنترة بن شداد » ص ١٥٥ تصحيح أمين سعيد •• المطبعة العربية بمصر • بلا تأريخ •

وقال طرفة :

نذر الأبطال صرعى بينهـا   تعكف العقبان فيها والرخم (٩٠)

(٤) ويقال « مشى عليه » و « مشى فيه » • قال جل جلاله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ... »(٩١) ، وقال عز اسمه : « ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً »(٩٢) •

(٥) ويقال « زاد على » و « زاد في » كقوله تعالى : « •• أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلا »(٩٣) ، وكقوله عزّ وجل : « ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا »(٩٤) •

(٦) ويقال « فعلت ذلك على أثره » و « فعلته في أثره » بفتح الهمزة والثاء أو كسر الهمزة وتسكين الثاء •

كقول علي بن جبَلة الملقب بالعكوّك :

فإذا ولّى أبو دُلَفٍ   ولّت الدنيا على أَثَره(٩٥)

وكقول الخنساء :

مضى وسنمضي على إثْرِهِ   كذاك لكل فتى مصرع(٩٦)

وكقول الأخطل :

تنقضّ في أَثَر الاوابد مثل ما   تنقضّ كاسرة من العِقبانِ(٩٧)

---

(٩٠) « ديوان طرفة بن العبد » ص ٩٢ تحقيق وشرح كرم البستاني • مكتبة صادر • بيروت ١٩٥٣ م •
(٩١) سورة الفرقان ، الآية ٢٥ •
(٩٢) سورة الاسراء ، الآية ١٧ •
(٩٣) سورة المزّمّل ، الآية ٤ •
(٩٤) سورة الشورى ، الآية ٢٣ •
(٩٥) «العقد الفريد» ج ١ ص ٣٠٧ •
(٩٦) «شرح ديوان الخنساء» ص٥٥ المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٨٩م•
(٩٧) «المنتخب من أدب العرب» ج ٢ ص ٩٧ •

وكقول سكينة بنت الحسين :

نكن على ابن رسول الله فانسكبي

قيحاً ودمعاً وفي إثريهما العلقه[٩٨]

(٧) ويقال «أجاب على السؤال» و «أجاب في السؤال» . فأما تعدية أجاب بعلى فقد مضى بيان طائفة من المُثُل فيها ، وأما تعديته بفي فهذه مُثُلها :

شواهد « أجاب في » :

(١) جاء في « الحيوان » : « فإن قلت : فقد علّم الله عز وجل آدم الأسماء كلها ولا يجوز تعريف الأسماء بغير المعاني ... وجوابي في ذلك ان الله عزّ وجل لم يخبرنا أنه قد كان علمّ آدم كلّ شيء يعلمه تعالى »[٩٩] .

(٢) وجاء في « مجالس العلماء » للزجاجي أن الفرّاء قال : « وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة أجاب فيها سيبويه ، فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثانية فأجابه فيها ، فقال له : أخطأت ، ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها ، فقال له : أخطأت »[١٠٠] .

(٣) وجاء فيه قول للفرّاء في خبره مع الكسائي ، قال : « ثم سألته عن أُخرى فأجابني بخلاف ما معي ، ففطن فقال لي : سألتني عن كيت وكيت ، والجواب فيه ما أخبرتك به »[١٠١] .

---

(٩٨) «الامالي» لعبدالرحمن بن اسحق الزجاجي . شرح أحمد بن الامين الشنقيطي . الطبعة الاولى مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ .

(٩٩) ج ٥ ص ٢٠١ تحقيق عبدالسلام هارون . طبعة مصر ١٩٦٥ م .

(١٠٠) ص ٤ تحقيق عبدالسلام هارون . طبع الكويت ١٩٦٢ م .

(١٠١) ص ٢٧٠ .

(٤) وفي « الأغاني » كلام لأبي محمد يحيى بن المبارك ذكر فيه مخالفته الكسائي في مسائل بحضور المهدي ، قال : «ثم طلع الأعرابي الذي بعث اليه ، فألقيت عليه المسائل فأجاب فيها كلها بقولي » [١٠٢] .

(٥) وفيه خبر ساقه عبدالملك بن الماجشون جاء فيه : « .. ثم أجاب في أشياء بلغني أنه سأله عنها ، فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم »[١٠٣] .

(٦) وقال ابن خالويه في « إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم » : فإن سأل سائل فقال : لِمَ أظهر اللام عند التاء نافع وغيره وأدغم الباقون ؟ فالجواب فيذلك أنهم فرّقوا بين المتصل والمنفصل» [١٠٤].

(٧) وقال فيه : « فإن قيل ما الدليل على أن ليس فعل وليس تتصرف تصرف الأفعال ؟ فالجواب في ذلك أن أدلة الافعال أشياء منها ... »[١٠٥] .

(٨) وفي كتاب « مراتب النحويين » أنّ أبا الطيب اللغوي قال : « كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ، وكان ابو عبيدة يجيب في نصفها ، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها ، وكان ابو مالك يجيب فيها كلها » [١٠٦] .

(٩) ولأبي حامد الغزالي كتاب عنوانه « الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية »[١٠٧] .

---

(١٠٢) ج ٢٠ ص ٢٣ .

(١٠٣) ج ٢٣ ص ٢٤٨ تحقيق علي السباعي واشراف محمد أبي الفضل ابراهيم ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

(١٠٤) ص ٦٢ مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١م.

(١٠٥) ص ٦٧ .

(١٠٦) ص ١٠٦ من «كتاب الاعرابيات» لخليل مردم بك . شرح عدنان مردم بك واحمد الجندي . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. المطبعة الهاشمية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م .

(١٠٧) طبعة مصر ١٣١٩ هـ .

(١٠) وقال بكر بن محمد المازني النحوي إن المتوكل أشخصه ، فلما دخل اليه راعه ما رأى من العُدَد والسلاح والأتراك ، ثم قال ما هذا نصه : « وخشيت إن سُئلت عن مسألة ألاّ أُجيب فيها »(١٠٨) .

على وَفْق الحاجة ووفق الحاجة

وقال رحمه الله : « قُل هادنه على وفق شروط ، ولاتقل هادنه وفق شروط – ص ٨٢ » . وقال إنّ « على وفق » بمعنى « على حسب » ، واستشهد لتصحيحه بعدة نصوص كان أولها قول عمر بن أبي ربيعة :

فما جئتنا الا على وفق موعد   على ملأ منا خرجنا له معا

وهو أقدم النصوص زماناً ، فاجتزأت به عما أعقبه . وقال : «أما استعمال الوفق بغير حرف جرّ فله موضع آخر ومعنى آخر ، يقال كسبُ فلان وفق عياله أي قدر كفايتهم لافضل فيه ، وهذا المقدار من المال وفق لكثرة حاجاتهم – ص ٨٣ » . وقال : « إن قولهم أُلّف الكتاب وفقا لمنهج الوزارة غلط ، والصحيح : على وفق منهج الوزارة » .

قلت : ليس لدينا نص لغوي قديم يفرّق بين « على وفق » و « وفق » في المعنى ، وقد فرق أستاذي بينهما استناداً الى ما وقف عليه من نصوص أدبية ، وهو تفريق لايعوّل عليه . إن « على وفق » بمعنى « وفق » ، ولا فرق بينهما سوى أن الأولى أصل في الاستعمال ، والثانية فرع فيه تقال اختصاراً ثقة بفهم الناس إياها . ولا فرق بين « على وفق » و «وفق» في قول عمر « فما جئتنا إلاّ على وفق موعد » وقول أستاذي « كسبُ فلان وفق عياله » ، وكان هو فرّق بينهما في المعنى ، فالاول معناه عندي :

---

(١٠٨) معجم الادباء » ج٧ ص ١١٩ مطبعة دار المأمون . القاهرة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م .

جئتنا على وفق الموعد ، أي ما نقص مجيئك عن وقته أو غيره ولا زاد عليه، والثاني معناه عندي: كسب فلان على وفق حاجة عياله ، أي ماينقص من حاجتهم ولا يزيد عليها • وقد وجدت الجاحظ يميل الى اختصار « على وفق » بحذف « على » منها كقوله في رسالته في « استنجاز الوعد » : « وأسماؤكم وكُناكم بين فرح ونجح ، وبين سلامة وفضل ، ووجوهكم وفق أسمائكم ، وأخلاقكم وفق أعراقكم » (١٠٩) ، وكقوله في رسالة « التربيع والتدوير » : « فسبحان من جعل أخلاقك وفق أعراقك وفعلك وفق ذلك » (١١٠) ، وممن أخذ بهذا الاختصار الراعي النميري في قوله :

أما الفقيرُ الذي كانت حلوبته
وفق العيال فلم يُترك له سَبَدُ (١١١)

وابن المقفع في كليلة ودمنة ، قال : « فلما حضر كلّمه وآنسه فوجده في جميع الأمور وفق غرضه » (١١٢) ، والماوردي في « أدب الدنيا والدين » ، قال : « أحدها أن يطلب قدر كفايته ويلتمس وفق حاجته » (١١٣) ، والحريري في مقامته التاسعة الاسكندرانية ، قال : « فقيّض القدرُ لنَصَبي وَوَصبي أن حضر هذا الخُدَعة نادي أبي ، فأقسم بين رهطه ، أنه وَفْقُ شَرْطه » (١١٤) ، وجاء في القاموس المحيط : « وحلوبته وفق

(١٠٩) « مجموعة رسائل الجاحظ » • الطبعة الاولى • القاهرة ١٣٢٤ هـ ص ١٧٥ •
(١١٠) ص ٥٤ طبعة الشركة اللبنانية للكتاب • بيروت ١٩٦٩ م • وقد سميت عند طبعها «رسالة» ، وهي كتاب لدى ياقوت الحموي في معجم الادباء ج ١٦ ص ١٠٧ •
(١١١) « طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين » ص ١٧٥ •
(١١٢) ص ٢٨٥ •
(١١٣) ص ١٤٤ •
(١١٤) ص ٧٩ من « مقامات الحريرى » •

عياله ، لبنها قدر كفايتهم » .

ولكون « على حسب » بمعنى على وفق ، كما صـرّح هو نفسه ، حذف منها « على » في كثير من النصوص الأدبية اختصاراً ، على نحو ماجرى لعلى وفق . ومنهم من أثبتها وحذفها في كلامه ، كقول الجاحظ في «الحيوان » وقد أثبتها : « لاتكون عقولهم وقرائحهم الا على حسب ذلك»(١١٥) ، وكقوله فيه وقد حذفها : « فلا بد للمال الكثير من الحراسة الشـــديدة ، ومن الخوف ، فإن أعمل الحراســة له ، وتعب في حفظه حســب الخوف ... »(١١٦) ، وكقول المرزوقي في « شـــرح ديوان الحماسة» وقد أثبتها : «وذلك على حسب مكانه في القرب والبعد »(١١٧)، وكقوله فيه وقد حذفها : فيتوفرون عليّ حَسَب ما يقتضيــه كرمهم ، واكتفي من الذي عندهم لي بما يكفيني »(١١٨) .

ونظير ماصحّ في « وفق » و « حسب » يصح في « أثر » فيقال : « فعلتُ ذلك على أثَرِه » و «فعلته إثْرَه ». فمثـال إثبات « على » قول طُريح في مدح الوليد بن عبدالملك :

فاضت على إثْرِهِمْ عيناك دمعهما
كما تابع يجري اللؤلؤ النَّسقُ (١١٩)

وقول العكوّك :

فاذا ولّى أبو دُلَف ولّت الدنيا على أثَرِه(١٢٠)

---

(١١٥) ج٢ ص ٢٧٠ طبعة بيروت .
(١١٦) ج ٥ ص ١٥٦ طبعة بيروت .
(١١٧) القسم الرابع ص ١٥٨١ .
(١١٨) القسم الثالث ص ١١٥٩ .
(١١٩) « الاغاني » ج ٦ ص ١٠١ .
(١٢٠) « العقد الفريد » ج١ ص ٣٠٧ .

ومثال حذفها قول امرىء القيس :

الا يا لهف نفسي إثْرَ قوم
هُمُ كانوا الشّفاء فلم يُصابوا[١٢١]

وقول علقمة بن عبدة :

أم هل كبير بكى لم يقض عبرتَه
إثْرَ الأحبة يوم البين مشكومُ[١٢٢]

وكذلك الحال في « على قَدْر » ، يقال : « أعطيته على قَدْر حاجته » بإثبات على و « أعطيته قدْر حاجته » بحذفها • فمثال إثباتها قول لابن قتيبة في مقدّمة « أدب الكاتب » ، وهو : « ونستحبّ له أيضاً أن ينزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قَدْر الكاتب والمكتوب إليه »[١٢٣] ، وقول الفرزدق للكميت، وهو: « أما عقلك فحسن وإني لأرجو أن يكون شعرك على قَدْر عقلك »[١٢٤] • ومثال حذفها قول الخليل الفراهيدي :

لايكون العليّ مثلَ الدنيِّ
لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي
قيمة المرء قدرُ ما يحسن المـ
ـرءُ قضاء من الامام عليِّ[١٢٥]

(١٢١) « شرح ديوان امرىء القيس » ص ٦٧ لحسن السندوبي • الطبعة الثالثة • وفي الاغاني ج٩ ص ٩١ : « الا يالهف هند » •

(١٢٢) « الاغاني » ج٢١ ص ١٩٩ • وفي كتاب « رسائل في النحو واللغة » تحقيق الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني جاء في رسالة « الحدود في النحو » للرماني « مكتوم » بدلا من « مشكوم » وهو غلط •

(١٢٣) ص ١٨ •

(١٢٤) « الأغاني » ج١٧ ص ٢٨ •

(١٢٥) « أدب الدنيا والدين » ص ١٧ •

وقول ورد في مختار الصحاح أعقب الحديث النبوي القائل : لايموت للمؤمن ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القَسَم ، وهو « أي قَدْر ما يبر الله تعالى قَسَمه فيه » [126] . وقول آخر ورد فيه هو : « ... يقال حَلُوبته وَفْق عياله ، أي لها لبن قَدْر كفايتهم لا فضل فيه » [126] . وكنت ذكرت شاهدين أحدهما للماوردي والآخر للقاموس المحيط ، حذف فيهما « على » من « على قَدْر » ، سقتهما عند كلامي على « وفق » ، والرجوع اليهما يسير .

أما تغليطه قولهم «ألف الكتاب وفقاً لمنهج الوزارة » فقد سبقه اليه الأستاذ صلاح الدين سعدي الزعبلاوي مؤلف كتاب «أخطاؤنا في الصحف والدواوين » ، قال في كتابه هذا : « أما قولك مضيت وفق النظام ووفقاً له كما يقوله كتاب الدواوين فغريب » [127] . ولست أقرهما عليه ،لأن « وفقاً » حال جاء على صيغة المصدر ، كقوله تعالى : « ولا تمش في الأرض مرحاً » ، وكقولهم « قتله صبراً » .

فلانة عضو أفضل من فلانة عضوة

وقال : « قل فلانة عضوة ولا تقل فلانة عضو ـ ص ٩٦ » ، وقال : « والسبب في ذلك أن العضو نقل من الاسمية الى الوصفية ، كما قيل في الشلو وهو العضو الشلوة ، وفي الثبج وهو الوسط ثبجة .. » ، واستشهد بقول النبي (ص) لبعضهم في قوس أصابها : « تقلدها شلوة من جهنم » ، وقال إن الشريف الرضي قال في شرحها في المجازات النبوية : « وانما قال شلوة ولم يقل شلواً لانه حمل على معنى القوس وهي مؤنثة ، والشلو العضو » ، واستشهد بقول النبي «ص» ، وهو : « وانطوا الثبجة » ، وقال

(١٢٦) النص الاول في مادة « ح ل ل » ، والثاني في « و ف ق » .
(١٢٧) المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م .

إن مجد الدين بن الأثير قال في النهاية : « أي اعطوا الوسط في الصدقة لامن خيار المال ولا من رذالته ، والحقها هاء التأنيث لانتقالها من الاسمية الى الوصفية » ، ثم قال : « إن العرب يتساهلون في التأنيث ... ص ٩٦ ».

قلتُ : لا أحسبه أراد بتنبيهه هذا أن « فلانة عضو » خطأ ، بل أراد أنها اصبحت لغة غير مختارة في هذا العصر ، وأن اللغة المختارة هي « فلانة عضوة » ، لتدرّج أحوال المرأة ، واحترافها بضروب الحرف ، حتى قيل : فلانة معلمة وفلانة مديرة وفلانة موظفة ونحو ذلك . على أن ذلك منه تسمّح لايشاكل تشدّده مع من يقول « أيهما أفضل العلم أم المال » أو « أجاب على السؤال » ، وقد مرّ القول فيهما . ثم إنّ قوله « عضوة » تأنيث متكلَّف لاتدعو اليه حاجة . وإنّ ورود الشلوة بدلاً من الشلو والثبجة عوضاً من الثبج ، في الحديث النبوي ، لاينبغي أن يُستدلّ به على أن القائل بالشلو والثبج مجانف عن الفصحى ، ولا أن « العضوة » صفةً للمرأة خير من «العضو » صفةً لها . ففي الحديث النبوي « ائتني بشلوها الأيمن »[١٢٨] ، وفي أساس البلاغة « وركب ثبج البحر ومضى ثبج من الليل » ، وفي كتاب «التنبيه على أوهام أبي عليّ في أماليه » قال مؤلفه عبدالله البكري : « وهذا البيت حجة في جمع اليد العضو على أياد »[١٢٩] ، فقال « اليد العضو » ، ولم يقل العضوة . والعضو لم يرد في كلام العرب الاّ مذكراً ، سواء أوصف به مذكر أم مؤنث ، فكما يقال : الأنف عضو ، والقلب عضو ، وكلاهما مذكر ، يقال : العين عضو ، والأذن عضو ، وكلاهما مؤنث . والعرب لاتلحق المؤنث هاء التأنيث الا عند الضرورة ، لذلك قالوا في صفة المرأة : حائض وحامل وعاقر وطالق ،

---

(١٢٨) « مختار الصحاح » ، مادة « ش ل أ » .

(١٢٩)ص ٥٣ تحقيق الأب أنطون صالحاني . الطبعة الاولى . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م .

لعدم هذه الصفات في الرجل ، وقالوا لها : صبور وشكور وجريح وقتيل ونذير ، لأنها صفات معدولة ، قال الله عزّ وجل : « إنها لا حدى الكبَر، نذيراً للبشر » [١٣٠] ، ولم يقل نذيرة ، وقال تبارك اسمه : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى » [١٣١] ، ولم يقل: عمل عامل أو عاملة ، لغلبة « عامل » في الرجال دون النساء ، ولذلك قالوا : فلانة وصيُّ فلان ، أو شاهد عليه ، وفلانة أمير أو نبي أو شاعر ، ومن ذلك قول الشاعر :

أكاد اذا ذكرت العهد منها
أطير لو ان إنساناً يطيرُ
وأنفذ قادحاك سواد قلبي
فأنت عليّ ما عشنا أمير [١٣٢]

وقول حماد الراوية في جبّة ، وقيل بل هو قول مطيع بن إياس :

ولك اللهُ والأمانة أن أجـ ـعلها عمرَها أميرَ ثيابي [١٣٤]

وقول الطرّماح في سجاح بنت الحارث التميمية :

فتلك نبيّ الحنظليين أصبحت
مضمّخة في خدرها قد تظلّتِ [١٣٥]

وقول النابغة الجعدي يهجو ليلى الأخيلية :

---

(١٣٠) سورة المدثر ، الآية ١٣٦ ٠
(١٣١) سورة آل عمران ، الآية ١٩٥ ٠
(١٣٢) « النوادر » لأبي علي القالي ص ٩٧ تحقيق الأب أنطون صالحاني ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤ هـ ـ ١٩٢٦ م ٠
(١٣٤) « الأغاني ج٦ ص ٨٣ ٠
(١٣٥) « التنبيه والاشراف » للمسعودي ص ٢٤٨ طبعة دار التراث ـ بيروت ٠

وكيف أهاجي شاعراً رمحه استه
خضيب البنان لايزال مكحَّلا[١٣٦]

ولا أنكر أن العرب قالوا في صفة المرأة : وصية وشاهدة وأميرة ونبيّة ، ولكن كان ذلك على قلّة • على أننا لو حذفنا الموصوف في نحو هذه الكلمات لوجب تأنيث الصفة دفعاً للبس ، فيقال : مررت بوصية وشاهدة وأميرة ونبيّة •

على أن هذه الأسماء كلها تختلف عن « العضو » ، لأن « العضو » إنما وضع بلا هاء التأنيث[١٣٧] ليدلّ على مؤنث كما يدلّ على مذكر • والترخيص في أن يقال « المرأة عضوة » قد يفضي الى أن يظن بعض الجاهلين أننا يجوز لنا أن نقول : « الفرات نهر ودجلة نهرة ، وذو الفقار سيف والصمصامة سيفة » ، وصغار الأمور تؤدي الى كبارها • والميل الى تأنيث ما لا يحتاج الى تأنيث قد خالط أذواق العامة ، فهم بعد أن قالوا للبنت « سُعاد » استثقلوا أن لايكون لاسمها علامة تأنيث ، فقالوا لها « سُعادة » ، وبعد أن قالوا لأخرى « سِهام » ضموا السين وأضافوا هاء التأنيث فقالوا «سُهامة» ، وشاؤوا أن يقولوا لأخرى « سُهيل » ، تسمية باسم النجم المشهور ، فأضافوا اليه هاء التأنيث رأساً وقالوا « سُهيلة » ، وذلك كله منهم مخاطبةً ومكاتبةً وتدويناً في سجلات الأحوال المدنية •

فإن قيل : أصبحت المرأة في هذا الزمان « عضوة » في مجالس الوزراء ومجالس النواب والمجالس البلدية وغيرها ، فيحسن أن يُقال لها عضوة بدلاً من عضو ، قلتُ : بل يحسن أن يقال لها عضو ، لأن العضو مما يقال للمؤنث كما يقال للمذكر ، ثم إن العضوية لم تزل غالبة في الرجال دون النساء •

---

(١٣٦) « الأغاني » ج٥ ص ١٦ •

(١٣٧) هاء التأنيث هي ما يقال له التاء المربوطة •

إني أقرأ وأسمع هذه الأيام قولهم « فلانة عضوة » ، وهو تعبير أخذ استعماله يشيع ويذيع ، فأرتضيه على تكرّه مني وتقبّض ، وعلى أنه لغة هي دون لغة « فلانة عضو » ، لاعلى أنها أفضل منها .

أمـــام

وقال رحمه الله : « قل وقفت تجاه فلان وبإزائه وقبالته ولاتقل أمامه — ص ١٣٧ » ، وقال : « ومن يرد أن يعرف معنى أمام فليتذكر وقوف الإمام في الصلاة ، فالاسمان من أصل واحد ، ويدلاّن على وجهة واحدة ، فالإمام يقف أمام المصلين للمؤتسّين به ، يؤمهم أي يوليهم ظهره ولا يستقبلهم » . واستشهد بكلام لأبي مخنف في بعض أخبار الجمل ، جاء فيه : «... وإن الأشتر كان بعدي وأنا أمامه ... وانه ليعلم أنه كان خلفي » ، وبكلام نُسب الى الامام علي في ذكر آداب المتعلم وما يجب عليه للمعلم ، وهو : « وأن تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظّمه ، وأن لاتجلس أمامه — ص ١٣٧ »(١٣٨) ، وبشعر لحماد عجرد ولابن علقمة ص ١٣٨ .

قلتُ : هذا رأي جاء به من عنده ، لم يسبقه أحد إليه ، خصّ فيه « أمام » بمعنى خاص هو تولية الظهر دون المواجهة والمقابلة ، وهو غير صحيح ، والصحيح اختصاصها بكلا المعنيين مع معنيين آخرين . وإن شاهده الذي ورد فيه القول المنسوب الى الامام علي ، وهو « وأن لاتجلس أمامه » ، لا يؤيد رأيه ، لمجيء « أمام » فيه ظرفاً بمعنى « قبل » . و«أمام» لاتتخذ معنى تولية الظهر ، ولا المواجهة والمقابلة ، ولا نحو ذلك ، الا

---

(١٣٨) وردت « امام » في « نهج البلاغة » ، شرح الشيخ محمد عبده ، إحدى عشرة مرة ، ليس فيها «أمام» هذه التي نقلت من شـــرح ابن أبي الحديد ، فلما عدت الى شـــرح ابن أبي الحديد مجلد ٤ ص ٥٣٧ طبعة البابي الاولى ، وهي التي اعتمدها استاذي ، وجدتها مما جمعه ابن أبي الحديد مظنوناً أنه للامـام علي ، لا مما جمعه الشـريف الرضي ، وهو قسم ملحق بآخر الكتاب .

بسياق الكلام ، وأوضح شاهد على ذلك قول رجل من بني عذرة ، عن أبيه ، وهو : « فإذا أنا بامرأة تمشي أمامي وهي مدبرة •• فتقدمتها والتفت إليها فإذا هي أقبح منظر •• »(١٣٩) • فأمام في هذا النص ذات معنى عام ، تصلح لتولية الظهر وغيره ، فلما تبعتها العبارة ذات المعنى الخاص « وهي مدبرة » ، اتخذت معنى تولية الظهر ، والشواهد التي سآتي بها على معاني « أمام » تفهم كلها من سياق الكلام • وعندي أن لأمام أربعة معانٍ ، هي :

« **أمام** » **بمعنى عام** : أن تجيء ظرف مكان بمعنى قدّام ، أي بضد خلف ووراء ، وهو معنى عام ، لايدل على جانب معين من جوانب مخلوقات الله :

(١) كقول زهير بن أبي سلمى :

وجار البيت والرجل المنادي أمام الحيّ عقدهما سواء(١٤٠)

قال شارح ديوانه ، وهو من علماء الدولة العباسية : « والمنادي المجالس وهو من النادي والنديّ وهما المجلس ••• وقوله أمام الحيّ ، إنما قال هذا لأن مجالسهم كانت أمام الحيّ لئلا يسمع النساء كلامهم ويطلعن على تدبيرهم » •

(٢) وكقول شمير بن الحارث في المال وهو الإبل :

ينعّم بال عيني أن أراه أمام البيت محجره أسيل(١٤١)

(١٣٩) «الأغاني» ج ١٢ ص ١٣ •

(١٤٠) «شرح ديوان طرفة وزهير» الورقة ١٢٣ ، وهو مخطوط ومحفوظ في المكتبة البريطانية بلندن برقم OR. 3155 ، وكانت هذه المكتبة ملحقة بالمتحفة البريطانية ثم انفصلت عنها منذ تأريخ ١-٧-١٩٧٣ • والمخطوط منسوب الى الاصمعي خطأ ، ويعتقد أنه للأعلم الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ هـ •

(١٤١) «النوادر في اللغة» ص ١٢٤ •

(٣) وكالذي أخبر به ابن عباس ، وهو أنه سمع النبيّ «ص» يقول : « اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وعن يميني نوراً ، وأمامي نوراً ، وخلفي نوراً »(١٤٢) .

(٤) وكقول الامام علي يوصي ابنه الحسن : « واعلم أن أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة »(١٤٣) .

(٥) وكقول الفرزدق :

لقد قاد جُرد الخيل من جنب واسط
يثور أمام الرائحين عُكوبُها(١٤٤)

(٦) وكالذي جاء في خبر زرقاء اليمامة ، وهو : « حتى احتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه ، فقطعو شجراً وأمسكوه أمامهم بأيديهم، ونظرت الزرقاء فقالت : إني أرى الشجر قد أقبل اليكم »(١٤٥) .

(٧) وكالذي جاء في « الأغاني » في حديث ناهض بن ثومة ، وهو يذكر طعاماً كان يوضع أمام الناس : « أما ماخفّ منها فيحمل حملاً ، وأما ما كبر وثقل فيدحرج ، فوضع ذلك أمامنا ، وتحلّق القوم عليه حلقاً .. »(١٤٦) .

فالمنادي في قول زهير ، والمال في قول شُمير ، والنور في الحديث النبويّ ، وطريق الحسن ، وعكوب في قول الفرزدق وهو الغبار، والشجر في خبر زرقاء اليمامة ، والطعام الموضوع للناس ، كل اولئك لايدل على تولية ظهر ولا غيره .

(١٤٢) «الجامع الصحيح» للامام مسلم .
(١٤٣) «نهج البلاغة» ج ٣ ص ٤٨١ .
(١٤٤) «ديوان الفرزدق» ص ٢٤ .
(١٤٥) «العقد الفريد» ج ٣ ص ٧١ و ٧٢ .
(١٤٦) ج ١٣ ص ١٧٩ .

« **أمام » بمعنى قدّام مع تولية الظهر** : وأن تجيء بمعنى قدّام مع تولية الظهر ، وهو الرأي الذي قال به استاذي رحمه الله ، عند تخطئته من يستعملها على قصد المواجهة والمقابلة ، وكثر مجيئها بهذا المعنى ، في وصف الحروب ، في مختلف العصور ، للدلالة على البأس والشدّة ، والاقدام على المخاطر .

(١) قال عمرو بن معديكرب الزبيدي :

لما اعترى بأبيه شدّ أمامه   بمهنّد صافي العقيقة مبْتِرِ[١٤٧]

(٢) وقال العباس بن مرداس :

وكنت أمام القوم أول ضارب
وطاعنت اذ كان الطعانُ تخالُسا[١٤٨]

(٣) وقال ابن ميّادة :

أجري أمامهم جري امريءٍ فَلَجٍ
عنانُه حين يجري ليس يضطرب[١٤٩]

(٤) وجاء في « الكامل » للمبرّد ، في خبر المهلّب مع الخوارج : « فخرج اليهم المغيرة بن المهلّب وأمامه سعد بن نجد ... وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلّب ، فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح »[١٤٩] .

(٥) وفي « الأغاني » أن أحد بني عبد شمس قال : « كان الأضبط بن قُريع مفرّكاً وكان اذا لقي في الحرب تقدّم أمام الصف ثم قال :

أنا الذي تفركه حلائله   ألا فتى معشّق أُنازله »[١٥٠]

---

(١٤٧) «ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي» ص ١٠٦ تحقيق هاشم الطعان . مطبعة الجمهورية . بغداد ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م .

(١٤٨) «الاصمعيات» ص ٧٠ تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون .

(١٤٩) ج ٣ ص ١١٣٢ .

(١٥٠) ج ١٨ ص ١٢٨ .

(٦) وقال النابغة الجعدي في فرسه:

وكان أمام القوم منهم طليعة   فأربى يفاعاً من بعيد فبشّرا(١٥١)

(٧) وقال الأعشى :

طوراً تكون أمامه فتفوته   ويفوتها طوراً اذا ماخوّدا(١٥٢)

(٨) وروى ابو زيد لأعشى باهلة :

لايتأرّى لما في القدر يرقبُه

ولا يزال أمام القوم يقتفر(١٥٣)

« **أمام » بمعنى قدّام مع المواجهة والمقابلة :** وتجيء بمعنى قدّام مع المواجهة والمقابلة ، ومعناها هنا هو الذي أنكره أستاذي رحمه الله ، وأنا مثبت صحته بالشواهد الآتي ذكرها :

(١) قال الفرزدق مادحاً :

يكون أمام الخيل أول طاعن

ويضرب أُخراها اذا هي ولّت(١٥٤)

أراد أنه اذا واجه خيل عدوه كان أول طاعن لها ، ولا يصح أن يكون أراد بالخيل خيل قومه ، لقوله « ويضرب أُخراها » والضمير في « أُخراها » يعود على الخيل •

(٢) وقال العجير السلولي :

---

(١٥١) «جمهرة اشعار العرب» المنسوب الى أبي زيد القرشي ص ٢٧٨ طبعة دار صادر • بيروت ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م •

(١٥٢) «شرح ديوان الاعشى» ص ٥٧ •

(١٥٣) «النوادر في اللغة» ص ٧٦ ، وشرح «يقتفر» لدى أبي زيد يختلف عما لدى المبرد في الكامل ج ٣ ص ١٢٣٠ •

(١٥٤) ديوان الفرزدق ص ٣٨ •

جميل اذا اســتقبلته من أمامه
وإن هو ولّى أشعث الرأس جافله(١٥٥)

(٣) وقال مزاحم العقيلي :
أخاف ذنوبي أن تُعَدَّ ببــابه
وما قــد أزلّ الكاشحون أماميـا(١٥٦)

أراد : أخاف أن تُعَدَّ ذنوبي أمامي ، اي بوجهي •

(٤) وقال داود بن سلم :
كأنّ بني حوّاء صفّوا أمامه فخُيّر من أنسابهم فتخيّرا(١٥٧)

(٥) وقال خالد بن كلثوم: «بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطرمّاح والكميت وهما جالسان بقرب باب الفيل ، اذ رأيت أعرابيّاً قد جاء يســحب أهداماً له ••• ثم رمى ببصره ، فرأى الكميت والطرمّاح فقصدهما ••• فقصدته ، ثم سلمت عليهم ، ثم جلست أمامهم ، فالتفتَ الى الكميت فقال : أسمعني شيئاً يا أبا المستهل ، فأنشده قوله : أبت هذه النفس الا ادّكارا » (١٥٨) • فقــول خالد « أريد الطرماح والكميت » ، وتوجهه اليهما ، ثم تسليمه وجلوسه أمامهما وأمام الأعرابي ، كلّ اولئك يدل على أنه أراد بـ « أمامهم » مواجهتهم ومقابلتهم •

(٦) وقال ابن عبد ربه : « ••• وما ظنّك بوافد قوم يتكلم بين يــدي النبي صلى الله عليه وسلم أو خليفته أو بين يدي جبّار في رغبة أو رهبة ، فهو يوطّد لقومه مرّة ، ويتحفّظ ممن أمامه أخرى »(١٥٩) •

---

(١٥٥) «الأغاني» ج ١٣ ص ٦١ •
(١٥٦) «الأغاني» ج ١٩ ص ١٠١ •
(١٥٧) «الأغاني» ج ٦ ص ١٥ •
(١٥٨) « الاغاني » ج ١٢ ص ٣٧ •
(١٥٩) « العقد الفريد » ج ٢ ص ٣ •

(٧) وقال الشرف راجح بن اسماعيل في رثاء غازي بن يوسف صلاح الدين الايوبي :

كأن لم أقف أجلو التهاني أمامه
وتضحك في وجه الأماني مواهبه(١٦٠)

(٨) وقال الشهاب الخفاجي في الحشوية وسبب تسميتهم بهذا الاسم : « نسبة الى الحشا ، لما قيل انهم سموا بذلك لقول الحسن البصري لما وجد كلامهم ساقطاً ، وكانوا يجلسون في حلقة أمامه : رُدّوا هؤلاء الى حشا الحلقة ، أي جانبها »(١٦١) . ولا شك أن قعود طلبة العلم أمام المعلم في الحلقة قديماً ، وعلى مقاعد الصفوف حديثاً ، معناه المواجهة والمقابلة ، وغير معقول أن يولّي الطلبة ظهورهم لمعلمهم وقت تعليمه إياهم ، الا أن يكون ذلك منهم طَنْزا ، ومن معلمهم عجْزا . وما دام الأمر كذلك ، فان ما نُسب الى الامام علي «ع» من نصحه المتعلم أن لا يجلس أمام معلمه ، معناه أن لا يجلس قبله اذا كانا واقفين ، وهو ما اختلط معناه على استاذي رحمه الله ، فظنّ أن المراد أن لا يولّي المتعلم ظهره لمعلمه ، وهو ما لا يكون ، وما لا يكون لايوصى بعدمه .

(٩) وقال عمران بن حطّان :

وكلّ كرب أمام الموت متضعٌ
للموت والموتُ فيما بعده جَلَل(١٦٢)

(١٠) ولعمر بن الهدير قصيدة يشكو فيها سوء حظه ونكد عيشه ، جاء فيها :

أمامي من الحرمان جيش هرمرم
ومنه ورائي جحفل حين أركب(١٦٣)

---

(١٦٠) « وفيات الاعيان » ج ٣ ص ١٨٢ .

(١٦١) « شفاء الغليل فيما في لغة العرب من دخيل » ص ١٠٧ الطبعة الاولى . مطبعة دار السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ .

(١٦٢) « الاغاني » ج١٨ ص ١٢٠ تحقيق عبدالكريم ابراهيم العزباوي واشراف محمد ابي الفضل ابراهيم ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م .

(١٦٣) « العقد الفريد » ج٦ ص ٢١٧ .

(١١) وقال حذيفة بن أنس يفخر بشجاعته :

ويمشي اذا ما الموت كان أمامه
كذي الشبل يحمي الانف أن يتأخرا(١٦٤)

(١٢) وفي كلام لسعيد بن سلم ، يذكر فيه أن الخليفة المهدي أهدر دم رجل من أهل الكوفة ، وجاء في كلامه : « فبينا هو يمشي في بعض نواحيها اذ بصُر به رجل من اهل الكوفة فعرفه ، فأهوى الى مجامع ثوبه ، وقال : هذا بغية أمير المؤمنين ، فأمكن الرجل من قياده ، ونظر الى الموت أمامه(١٦٥) » .

هذه النصوص الاثنا عشر ـ وآخرها أربعة نُزّل في كل منها أمام المعنوي منزلة الحسّي ـ هي كافية في دفع رأيه القائل بتخطئة « امام » بمعنى المواجهة والمقابلة ، ولو شئت أن أزيد عليها لفعلت .

« أمام » **ظرف زمان بمعنى قبل :** وأن تكون ظرف زمان بمعنى « قبل » :

(١) كالذي نسب الى الامام علي «ع» في ذكر آداب المتعلم وما يجب عليه للمعلم ، وهو : « وأن تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظّمه ، وأن لاتجلس أمامه »(١٦٦) ، أي أن لاتجلس قبله ، وقد تقدم ذكر هذا الشاهد والقول فيه .

(٢) وكقوله في شأن طلحة والزبير ، وفي البيعة له : « ولقد استثبتهما قبل القتال ، واستأنيتُ بهما أمام الوِقاع(١٦٧) » . قال الشيخ محمد عبده في شرحه « أمام الوِقاع ، ككتاب ، قبل المواقعة بالحرب » .

(٣) وكقول عبدالله بن الحارث لعبدالملك بن مروان :

ويُدعى ابن منجوف أمامي كأنه
خصّي دنا للماء من غير مشربِ(١٦٨)

---

(١٦٤) « العقد الفريد » ج ٥ ص ٢٤٥ .

(١٦٥) « العقد الفريد » ج ١ ص ١٣٧ .

(١٦٦) « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد . مج ٤ ص ٥٣٧ طبعة البابي الاولى .

(١٦٧) « نهج البلاغة » ج ٢ ص ٢٤٩ .

(١٦٨) « الحيوان » ج ١ ص ١٣٤ تحقيق عبدالسلام هارون .

(٤) وقول العكوّك في حُميد الطوسي :

وما تعمّدت فيك وصفاً الا تقدّمته أمامي[١٦٩]

(٥) وكالذي رواه الزجاجي في أماليه عن أحمد بن يحيى ثعلب :

ووجدت آبائي الذين تقدّموا سنوا الاباء على الملوك أمامي[١٧٠]

(٦) وكقول الشريف الرضي ، وهو : « وروي أنه عليه السلام قلّما اعتدل به المنبر الا قال أمام الخطبة : أيها الناس ، اتقوا الله ، فما خُلق امرؤ عبثاً فيلهو ، ولا تُرك سدى فيلغو[١٧١] .

قلتُ : فمعاني «أمام» كما يدل عليها الاستقراء أربعة ، على أن معناها العام ، وهو أن تكون ظرف مكان بمعنى قدّام ، تفرّع منه معنيان ، احدهما الدال على تولية الظهر ، والآخر الدال على المواجهة والمقابلة ، وقد فصلتهما عن المعنى العام لمزيد ايضاح وتبيين ، ولأدفع بهذا الفصل رأي أستاذي ، رحمه الله ، في « أمام » .

أما قوله « ومن يُرد أن يعرف معنى أمام ، فليتذكر وقوف الامام في الصلاة ، فالاسمان من أصل واحد » ، فمنظور فيه . و « أَمام » و « إِمام » عندي أصلهما « الأُمّ » ، وهي الوالدة ، وأول ما يتعلم الطفل من الكلمات « ماما » ثم « بابا » لكون الميم والباء من أحرف الشفة ، وهي أسهل الحروف نطقاً على الطفل ، وكلا الاسمين مستعمل في عدة لغات في العالم لهذا السبب ، ولو كانت الغين والخاء مثلاً من أحرف الشفة بدلاً من الميم والباء ، وبسهولة النطق بهما ، لكان متوقعاً أن يتعلم الطفل أن يقول « غاغا » و « خاخا » بدلاً من « ماما » و « بابا » . فالأمّ هي التي يؤمها الطفل عند احتياجه اليها ، سواء

---

(١٦٩) « الاغاني » ج ٢٠ ص ٣٨ .

(١٧٠) « الامالي » للزجاجي ص ١٢٠ . تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون . الطبعة الأولى . مطبوعات المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ١٣٨٢ هـ .

(١٧١) « نهج البلاغة » ج ٤ ص ٦٤٠ .

كانت موليّة إياه ظهرها أم غيره ، فاذا كبر أمّ الامام في صلاته استدبارا ، وفي علمه وسيرته استقبالا • فأساس أَمام وإمام الأمّ ، وأســـاس هـــذه الاسماء الثلاثة الميم • فان قيل : لـِمَ لمْ تعتمد ما قالته المعجمات في «أمام» ؟ قلت : لم تقل المعجمات شيئاً ينفعنا فيما نحن فيــه • ففي الصحـــاح : « •• وتقول كنت أمامه أي قدّامه » ، وفي مختار الصحاح : « وتقول كان أمامه أي قُدّامه » ، وفي القاموس : « والأَمام نقيض الوراء كقدّام يكون اسماً وظرفاً وقد يذكر » ، وفي المصباح المنير : «وأمام الشيء بالفتح مستقبله وهوظرف، ولهذا يذكّر وقد يؤنث على معنى الجهة»، وأما «لسان العرب» فقد سها مؤلفه عن ذكر أَمام• ثم إن الشواهدالتي يؤتى بها من غيرالمعجمات تكون أدلّ على المعنى ، وأكشف لوجوه استعمال الكلم •

وفّقه الله للخير والى الخير

وقال رحمه الله : « قل وفّقه الله للخير والانجاح ، ولا تقل وفقه الله الى الخير والانجاح ـ ص ١٦٠ » ، وقال شارحاً : « وذلك لأن وفّقه الله للشيء معناه جعله وفقاً له ، أي موافقاً ومطابقاً وملائماً ، فهذا موضع اللام لا موضع الى ، والقاعدة العامة في اللام والى هي جواز أن يوضع اللام في مكان إلى ، ولا يجوز العكس ، لأن المراد بوضع اللام موضع الى هــو التخفيف ، فاذا وضعت الى موضع اللام كان ذلك تطويلاً وتثقيلاً ـ ص ١٦٠ »(١٧٢) ، وقال : « والاحتجاج بالتضمين عند الشعور بالخطأ هي حجة المخطىء المقوية لاحجة الفصيح القوية ـ ص ١٦١ » •

قلتُ : لنا أن نقول : وفقه الله للخير ، وهي اللغة المختارة ، لأنها الأصل والغالبة في الاستعمال ، ولنا أن نقول : وفقه الله الى الخير ، وهي لغة قليلة الاستعمال ، ويحسن ان لايستعملها الا أولو البصارة في العربية ،

---

(١٧٢) أرى أن الانجاح في قوله « وفقه الله للخير والانجاح » فيه تطويل وتثقيل •

ليحسنوا تخريجها ، فإن استعملها الجاهلون كان ذلك تخليطاً وتضييعاً للأصل ، وأما تخريجها فعلى قيام « الى » مقام « اللام » ، أو الحمل على المعنى ، وهو التضمين الذي أباه رحمه الله ، ولنا أن نقول «موفق» و «توفيق» بلا جار ومجرور .

شواهد وفقه الله للخير : فأما وفقه الله للخير ونحوه فلم يذكر له أي شاهد ، وهذه طائفة من شواهده :

(١) قال عبدالله بن الزبير في خطبة له : « .. فإن يكن ما سعوا فيه حقاً ، فأهل ذلك هم ، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيّهم صلى الله عليه » (١٧٣) .

(٢) وقال الحكم بن عبدل يخاطب عمر بن هبيرة :

فأعفيتني لما رأيت زمانتي ووفقت مني للقضاء المسدّدِ (١٧٤)

(٣) وجاء في « كليلة ودمنة » : « ولكن وفقنا لرأي واجتمعنا عليه » (١٧٥) .

(٤) وقال الجاحظ في رسالته في مناقب الترك وعامة جند الخلافة : « وفقك الله لرشدك وأعان على شكرك » (١٧٦) .

(٥) وجاء في كتاب « التاج في اخلاق الملوك » المنسوب الى الجاحظ ، وأظنه لمحمد بن الحارث التغلبي : (١٧٧) « أحمده على تتابع آلائه ،

---

(١٧٣) « الكامل » للمبرد ج ٣ ص ١٢٨ . وقوله « صلى الله عليه » فيه نظر ، لأن الله عز وجل يقول : « يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليما » .

(١٧٤) « الاغاني » ج ٢ ص ٤١٧ .

(١٧٥) ص ١٤٣ .

(١٧٦) « مجموعة رسائل » للجاحظ . الطبعة الاولى . مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٤ هـ .

(١٧٧) جاء في « مروج الذهب » للمسعودي ج ١ ص ١٤ : « ... ومحمد ابن الحارث التغلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف

وترادف منّه ، واستهديه واستوفقه لما يُرضيه ويرضى فيه »[١٧٨].

(٦) وجاء في « فقه اللغة وسرّ العربية » قول لمؤلفه الثعالبي هو : « وهكذا أقول له ... والله الموفق للصواب »[١٧٩].

(٧) وقال الحريري في آخر « درّة الغوّاص » : « ومن الله استلهم التوفيق للمقال ، المتعلق بالاصابة للفعال »[١٨٠].

(٨) وجاء في « كتاب الكتاب » قول لمؤلفه ابن درستويه هو : « فيقرّب عليه المأخذ ، ويسهّل له المطلب ، والله الموفّق للصواب »[١٨١].

(٩) وجاء في « أساس البلاغة » : « لا زلت للخير موفّقا ، وسهمك في الكرم مفوّقاً »[١٨٢] ، وجاء فيه « والله يوفّق عبده للطاعة »[١٨٢].

وفّقه الله الى الخير :وأما «وفقه الله الى الخير» ونحوه ، فله تأويلان : أحدهما قيام «الى» مقام «اللام» ، وممن قال به ابن فارس في « الصاحبي في فقه اللغة » ، واستشهد له بقول الشّماخ :

فالحق ببجلة ناسبهم وكن معهم
حتى يعيروك مجداً غير موطود
واترك تراث خفاف إنهم هلكوا
وأنت حيّ الى رعل ومطرود [١٨٣]

للفتح بن خاقان وغيره» ، وجاء في آخر كتاب «التاج في أخلاق الملوك » ص١٨٨ قول المؤلف: «فلنختم كتابنا بذكر من بعثنا على نظمه، وكان مفتاحاً لتأليفه وجمعه ، ولنقل إنا لم نر في صدر هذه الدولة المباركة العباسية فتى اجتمعت له فضائل الملوك ... عدا الامير الفتح بن خاقان مولى أمير المؤمنين » .

(١٧٨) ص ٩ طبعة مطابع الايمان . درعون . لبنان ١٩٧٠ م .

(١٧٩) ص ٢٩ مطبعة مصطفى محمد . القاهرة ١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٨ م .

(١٨٠) مطبعة الجوائب . الطبعة الاولى ١٢٩٩ هـ .

(١٨١) تحقيق الاب لويس شيخو . الطبعة الثانية . المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٢٧ م .

(١٨٢) مادة « ف و ق » ثم مادة « و ف ق » .

(١٨٣) ص ١٠٤ و ١٠٥ نشر المكتبة السلفية . مطبعة المؤيد . القاهرة ١٣٢٨ هـ ــ ١٩١٠ م .

أي : اترك تراث خفاف لرعل ومطرود . قلتُ : وقال الشاعر :

الا حبذا أعلام فلجة بالضحى
وخيم روابي حلتيها المنصبُ
يقولون ملح ماء فلجة آجن"
أجل هو مملوح الى القلب طيّبُ" (١٨٤)

فقال « طيّب الى القلب » والأصل « طيّب للقلب » ، جاء في « أساس البلاغة » : « هذا طعام مطيبة للنفس ... ومن المجاز : طاب لي كذا اذا حلّ » .

وجاء في « حياة الحيوان » نقلاً من كتاب « ابتلاء الاخيار » أن ملكة الصين قالت للاسكندر : « فمالك والتعرّض الى أموال الناس ، وأنت بهذه المهابة ؟ » (١٨٥) ، أي : التعرّض لأموال الناس (١٨٦) .

والآخر الحمل على المعنى ، وهو التضمين ، فقولهم « وفقه الله الى الخير » معناه : أدّاه الله الى الخير ، أو نقله اليه ، بحمل وفّق على معنى

---

(١٨٤) « وفيات الاعيان » ج ٥ ص ٤١٥ .
(١٨٥) ج ٢ ص ١٩٩ .
(١٨٦) وقال ابن هشام في « مغني اللبيب » ج ١ ص ٧٥ ان قولهم « الامر اليك » أصله « الامر لك » فأبدلت « الى » من « اللام » . وما اظن الأمر كذلك ، بل اظن « الى » ههنا أصلاً ، و « اللام » فرعاً ، وقولهم « الأمر اليك » اصله « الامر موكول اليك » . قال الامام علي «ع» بعد أن ضربه ابن ملجم : « إن أعش فالامر اليّ ، وإن أُصب فالامر لكم » ـ « الكامل » للمبرد ج٣ ص ٩٣٠ ـ فاستعمل الاصل «الى» ثم عدل عنه الى الفرع وهو «اللام» اختصاراً . وقال الحريري في المقامة الوبرية : « ففلتُ ذاك اليك ، وما أريد أن أشقّ عليك » ـ ص ٢٧٧ من مقاماته . ووهم ابن قتيبة في « أدب الكاتب » ص ٥١٩ حين استشهد بقوله تعالى : « وأوحىٰ ربك الى النحل » مستدلا به على قيام « الى » مقام « اللام » ، مع أن تعدية « أوحى » بالى هي الاصل ، وقد وردت في القرآن المجيد كذلك اثنتين وستين مرّة ، في حين وردت التعدية باللام مرة واحدة ، وهي قوله عزّ اسمه : « يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها » .

أدّى أو نقل ، اي بتضمينه معنى أي منهما . والحمل على المعنى كثير في العربيـــة ، منه ما ذكره المرزوقي في قول سويد بن مشنوء :

دعي ذكر مسعود فلا تذكُرِنّهُ   اليّ بسوء واعرضي لسبيل

قال : « والمعنى : لاينتهينّ ذكرُهُ اليّ ، ولا يتجاوزنّ ذكرُهُ اليّ بسوء ، فعدّي تذكُرِنّ تعدية تجاوزِنّ حملاً على المعنى (١٨٧) ، ومما جاء على هـــذا قوله :

اذا تغنّى الحمام الوُرق هيّجني   ولو تعزّيت عنها أُمّ عمّارِ

عدّى هيجني تعدية ذكرني لأنه في معنـــاه »(١٨٨) . ومنـــه ما ذكره المبرّد في قول أبي النجم العجلي : « سبّي الحماة وابهتي عليها » ، قال : « قوله سبّي الحماة وابهتي عليها : انما يريد ابهتيها ، فوضع ابهتي في موضع اكذبي ، فمن ثَمّ وَصَلَها بعلى (١٨٩) » . ومنه ما وجدته في « الأغاني » في خبر عامر بن الطفيل ، وهو : « حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر الطاعون »(١٩٠) ، فحمل « بعث » معنى سلّط فعدى بعلى ، ومثل ذلك يقال في خبر أربد أخي لبيد بن ربيعة لأمه ، في « الأغاني » ، وهو : « فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما » (١٩١) .

شواهد وفقه الله الى الخير : وممن اســتعمل « وفّق الى » ومـا يكون منهـــا :

---

(١٨٧) قلت : لو كان الشاعر قال « لديّ » بدلا من « اليّ » لاستغنى بيته عن الحمل على المعنى ، ويصحّ أن نقول حلّت « الى » في البيت محل اللام ، كأن الاصل : فلا تذكرنه لي ، فينتفي الاخذ بالحمل علـــى المعنى .

(١٨٨) البيت منسوب الى النابغة الذبياني ، وفي ديوانه ، صنعة ابـــن السكّيت ، وتحقيق الدكتور شـكري فيصـــل : ذكّرني » لا « هيّجني » ص ٢٣٥ ، وذلك أقرب الى أسلوب النابغة ، ان صحّ أن يكون البيت له ، وقد نفاه عنه ابن السكّيت مع أبيات أُخَر معه .

(١٨٩) « الكامل » للمبرد ج ٣ ص ٨٢٢ .

(١٩٠) « الاغاني » ج ١٧ ص ٥٧ .

(١٩١) « الاغاني » ج ١٧ ص ٥٨ .

(١) الجاحظ في « البخلاء » ، فقد جاء فيه حديث خاقان بن صبيح ، وفيه أن رجلاً من أهل مرو قال لرجل من أهل خراسان : « قد كنت أنا جاهلاً مثلك ، حتى وفقني الله الى ماهو أرشد »(١٩٢) .

(٢) ومنذ بن سعيد البلوطي ، فانه ألقى خطبة عوضاً من أبي علي القالي ، وكان أُرتج عليه ، فقال : «....فقد اصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين، أيّده الله بالسّداد ، وألهمه التوفيق الى الرشاد ، أحسن الناس حالاً ، وأنعم بالاً ... »(١٩٣) .

(٣) وأبو القاسم علي بن حمزة البصري ، في كتابه « التنبيهات على أغاليط الرواة » ، قال : « .. وبالله أستعين على التوفيق الى الصواب ومجانبة الخطل(١٩٤) » .

(٤) وابن جبير ، في رحلته ، قال : وما يوفقك الله اليه من وجوه البرّ والخير »(١٩٥) .

(٥) وقال أحمد بن علي القرشي البونيّ في كتابه « شمس المعارف ولطائف العوارف » : « الفصل الثالث والثلاثون في استخدامات الحروف على الجملة والتفصيل والله تعالى يوفق من يريد الى الأعمال ، أقول حرف الألف هو أول مخلوق من الحروف »(١٩٦) .

« موفق » و « توفيق » بلا جار ومجرور : ويقال « موفّق » و « توفيق » بلا جار ومجرور ، كقول الله جلّ ثناؤه : « إن أُريد الا

---

(١٩٢) طبعة بيروت ١٩٦٩ م ، وننقل النص في « العقد الفريد » ج ٦ ص ١٧٥ .

(١٩٣) « معجم الادباء » ج ١٩ ص ١٧٩ .

(١٩٤) الورقة ٧٠ من نسخة للكتاب مخطوطة ومحفوظة في المكتبة البريطانية بلندن برقم OR : 3081 .

(١٩٥) ص ٢٣٩ .

(١٩٦) عن نسخة مخطوطة ومحفوظة في المكتبة البريطانية بلندن برقم OR : 4327 . وقد توفي المؤلف سنة ٦٢٢ هـ .

الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقي الا بالله »[197] ، وقول قتيلة بنت الحارث ترثي أخاها بعد أن قتل صبراً بأمر النبي (ص) :

يا راكباً إن الأثيل مظِنَّةٌ من صبح خامسة وأنت موفَّقُ [198]

وقول جرير :

يتبعن ذا نقية موفّقا يمضي اذا خِمس الفلاة أرهقا [199]

وقول العتبى :

وحسبك في ستر الاحاديث واعظاً
من القول ما قال الأديب الموفّقُ [200]

قوله بجــواز حلول «اللام» محل «الى» : اما قوله ان القاعدة العامة في اللام والى هي « جواز أن يوضع اللام في مكان الى ولايجوز العكس ـ ص ١٦٠ » ، فقد قدمتُ ما يدل على أن قوله « ولا يجوز العكس » قد شذّت منه احوال وضعت فيها الى موضع اللام ، ومنها « وُفّق الى » على تأوّل وضع الى موضع اللام ، أو الحمل على المعنى . وأما « جواز أن يوضع اللام في مكان الى » ، فيعوزه التحوّط له بعبارة « عند أمن اللبس » :

(١) فاذا قيل « فلان يسعى الى أمه كلّ يوم » كان المراد أنه يسعى متوجهاً اليها لأمر ما ، كأن تكون مقيمة في مستشفى ، واذا قيل « فلان يسعى لأمه كل يوم » كان المراد أنه يعمل ويكسب لها كل يوم . جاء في مختار الصحاح : « سعى يسعى سعيا أي عدا ، وكذا اذا عمل وكسب » .

(٢) واذا قيل « اعتذرت اليه » كان المعنى بيّناً ، فاذا قيل « اعتذرت له جاز أن يكون المعنى : وجدتُ له عذراً . جاء في كتاب « أبو الطيب ماله وما عليه » قول لمؤلفه الثعالبي في المتنبي وشعره ، وهو « .. وهو

---

(١٩٧) سورة هود ، الآية ٨٨ .
(١٩٨) « الاغاني » ج ١ ص ١٩ .
(١٩٩) « ديوان جرير » ص ٤٠٤ طبعة بيروت .
(٢٠٠) « المحاسن والاضداد » ص ٢٢ .

مما سبق الى القلوب انكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه ، الاعتذار له، والمناضلة دونه »[٢٠١] .

(٣) ويقال « كتبت اليه رسالة » ومعناه جليّ ، فاذا قيل « كتبت له رسالة » جاز لظانّ أن يظن أن الرسالة كتبت عوضاً منه لعدم اقتداره عليها .

(٤) ويقال « لا التفات لزيد الى عمرو » فيفهم المعنى ، فاذا قيل « لا التفات لزيد لعمرو » فقد يلتبس المعنى .

(٥) ويقال « نظرتُ الى الفقير » فيُعرف المعنى ، فاذا قيل « نظرتُ للفقير » لم يُدرَ أنُظر اليه أم رُثي لحاله ، لأن نَظر له معناها رثى له في الأغلب . عاب بعضهم على الشماخ قوله لناقته « فاشرقي بدم الوتين » ، في بيت له هو :

اذا بلّغتني وحملت رحلي عَرَابة فاشرقي بدم الوتينِ[٢٠٢]

وقال : « كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها » ، أراد أن يرثي لها . ولذلك عاب بديع الزمان على أبي بكر الخوارزمي قوله :

برز الربيع لنا برونق مائه
فانظر لروعة أرضه وسمائه

ويقال له : «لايقال نظرت لكذا ، ويقال نظرت الى كذا»[٢٠٣–٢٠٤].

---

(٢٠١) ص ٧٤ تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد . مطبعة حجازي بالقاهرة . بلا تاريخ .

(٢٠٢) « الكامل » للمبرّد ج ١ ص ١١٤ تحقيق الدكتور زكي مبارك . الطبعة الاولى ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦ م .

(٢٠٣) « معجم الادباء » ج٢ ص ١٨١ .

(٢٠٤) كان مفتش اللغة العربية المختص الأستاذ خليل العاني عرض عليّ سنة ١٩٧٢ م كتاباً له عنوانه « التضمين بين حروف الجر في القرآن الكريم » ، وهو الذي نال به شهادة « الماجستير » ، ورجاني ان أقرأه فأفيده بما يعنّ لي فيه ، فدونت له نحواً من خمسين فائدة في اللغة والأدب أسميتها « نثر الجمان على درّة أبي سفيان » ، وأبو سفيان كنيته ، ومن تلك الفوائد مختصر رأيي هذا في قاعدة استاذي الدكتور مصطفى جواد في جواز احلال « اللام » محل «الى»، فاقتضى التنبيه احتياطاً .

بدلالة كذا وبدليل كذا بمعنى واحـد

وقال رحمه الله : « قل ثبت ذلك بدلالة كذا وكذا ، وهذا ثابت بدلالة كذا وكذا ، ولا تقل بدليل كذا وكذا ـ ص ١٧٧ » ، وقال شارحاً : « وذلك لأن هذا موضع المصدر أو ما يقول مقامه وهو اسمه ••• » ، وذكر شاهدين على « بدلالة كذا » احدهما لأبي حيّان التوحيدي والآخر لابن جنـي ، وكلاهما من أعلام المئة الهجرية الرابعة • ثم قال : « هكذا كان يقـال في القرن الرابع للهجرة ، وفيما قبله ـ كذا ـ ثم نشأ قولهم بدليل كذا ، ومن المؤسف أننا نرى هذا الخطأ كثيراً في كتب النحويين ـ ص ١٧٨ » •

قلت : لنا أن نقول « بدليل كذا » و « بدلالة كذا » ، فكلاهما صواب ، وبمعنى واحد • ويدل قوله « هذا موضع المصدر أو ما يقوم مقامه وهـو اسـمه ••• » أن غير اسم المصدر لا يدل على المصدر ، أي أن مفعولاً وفعيلاً لايدلاّن عليه ، وهو سهو منه ، فمن سنن العرب إقامة كلمة مقام أُخرى ، ومن ذلك إقامة «مفعول» مقام المصدر ، كقوله تعالى : « فستبصرون ويبصرون بأيكم المفتون [(٢٠٥)] » أي الفتنة ، وكقولهم : « ماله معقول » أي عقل ، و « حلف محلوفه بالله » أي حلفه ، و « جهد مجهـوده » أي جهـده ، و « دلّ مدلوله » أي دلالته ، قال الشمّاخ :

من اللواتي اذا لانت عريكتها ... يبقى لها بعدها آل ومجلودُ [(٢٠٦)]

ومنه إقامة « فعيل » مقام المصـدر ، كقولهم : « هـو في نعيم لا يزول » وهو بمعنى اسم الفاعل ، كقدم فهو قديم ، وحزن فهو حزين ، ودلّ فهو دليل • قال المرزوقي في « شرح ديوان الحماسة » في قول زيد بن حصين :

يراني العدوّ بعد غبّ لقـائه ... خليّا نعيم البال لم أتغيّـرِ

---

(٢٠٥) سورة القلم ، الآية ٦ •

(٢٠٦) اعتمدت في قيام « مفعول » مقام المصدر كتاب « الصاحبي ••• » لابن فارس ص ١٩٩ وص ٢٠٠ مع اختصار وتصرّف •

« ولا يمتنع أن يكون نعيم فعيلاً من نعُم أو نعِم عيشه ، واكثر ما يُستعمل مصدراً »[٢٠٧] ، فمدلول الذي هو مفعول ، ودليل الذي هو فعيل ، يجوز أن يحلاّ محل المصدر « دلالة » . ويعنينا ههنا « دليل » الذي هو فعيل ، فكما يجوز أن نقول : « أُعجبتُ بنفيس خلقه ، وغزير علمه » أي بنفاسة خلقه ، وغزارة علمه ، وأن نقول : « سخرت بخسيس أفعاله ، ووضيع أقواله » أي بخساسة أفعاله ووضاعة أقواله ، يجوز لنا أن نقول : « كان حزيناً بدليل بكائه » أي بدلالة بكائه ، و « كان يجهل السباحة بدليل غرقه » أي بدلالة غرقه . وقد استعمل « دليل » و « دلالة » بلا حرف الجرّ بمعنى واحد ، كما جاء في رسالة « التربيع والتدوير » للجاحظ ، وهو : « .. ولم نجد على ذلك شهادة قاطعة ولا دلالة قائمة ، ولا نقدر على ردّها لجواز معناها ، ولا على تثبيتها اذ لم يكن معها دليل يثبتها »[٢٠٨] ، وكاستعمالها في كتاب « التنبيهات على أغاليط الرواة » ، فقد جاء فيه : « والدلالة على صحة قولنا اجماع أهل العلم أن العرب اذا شبهت وقع النبل وذكرت الدبر فانما تريد الزنابير ... »[٢٠٩] ، ثم جاء فيه قول لأبي حاتم السجستاني في كتابه « النخلة » ، وهو : « والدليل على أن اللينة جماعة نخل قوله عز وجل : ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها »[٢٠٩] .

واستعملت « بدليل كذا » و « بدلالة كذا » بحرف الجرّ بمعنى واحد . وأنا أرى أن « بدليل كذا » أخف نطقاً وأعذب جرساً من « بدلالة كذا » ، وقد جرى بها قلم استاذي نفسه في كتابه « قل ولا تقل » نفسه ، قال « لأن النهي في هذا الحديث انما هو على المشتري لا على البائع ، بدليل

---

(٢٠٧) القسم الرابع ص ١٦٧٩ ، وإيّاه اعتمدت في قيام « فعيل » مقام المصدر مع اختصار وتصرّف .

(٢٠٨) ص ٣٩ .

(٢٠٩) الورقة ٣٧ ثم ٤٢ من المخطوط المحفوظ في المكتبة البريطانية بلندن برقم OR : 3081 .

رواية البخاري : لا يبتاع الرجل على بيع أخيه »(٢١٠) .

شواهد « بدليل كذا » :

(١) وممن استعمل « بدليل كذا » الجاحظ بقوله في النعام : « من زعم أن جوف النعام إنما يذيب الحجارة لفرط الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لابد مع الحرارة من غرائز أُخر ، بدليل أن القدر يوقد عليها الأيام ولا تذيب الحجارة »(٢١١) .

(٢) والامام الشافعي ، قال : « وما زال لحم الضبع يباع بين الصفا والمروة من غير نكير ، وأما ماذكروه من حديث النهي من أكل كل ذي ناب من السباع فإنه محمول على ما اذا كان يتقوّى بنابه ، بدليل أن

---

(٢١٠) « قل ولا تقل » ص ١٢٣ . وقد ينبه أهل اللغة على ما يعتقدون أنه خطأ أو غير فصيح أو دون الأفصح فصاحة ، فيستعملونه في كلامهم سهواً ، فبينا المرزوقي يقول في شرح ديوان الحماسة : « ويقال عيَّرته كذا وهو الأفصح ، وعيَّرته بكذا » ، إذ يغفل عن الأخذ بالأفصح في كلام له بعد بضعة أسطر ، فيقول : « ... فيما عيَّرهم به » ـ القسم الأول ص ٢٩٩ في شرح لشعر سبرة بن عمرو الفقعسي ـ وكنت آخذ على تلامذتي قولهم « صوَّبت رأيه » بمعنى صححت رأيه ، لأن معناها : حكمتُ له بالصواب ، ثم وجدتني أقع سهواً في هذا الخطأ ، وذلك في مقالة لي في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عنوانها « نظرات في كتاب مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس » ، إذ قلت فيها : « هي استدراكات على المؤلف... وتصويبات لسقطات الناسخ وغلطاته » ، وكنت أريد « وتصحيحات لسقطات الناسخ وغلطاته » ص ١٧٠ ج١ مج ٤٩ سنة ١٩٧٤ م .

(٢١١) النص في « حياة الحيوان » للدميري ج٢ ص ٣١٢ ، وهو نصٌ تام المبنى والمعنى وممهد له بقال الجاحظ ، ولا شك أنه منقول من نسخة من كتابه « الحيوان » ، وهو في كتاب « الحيوان » الذي حققه الاستاذ عبدالسلام هارون ج٤ ص ٣١٣ ظاهر الاختلال ، وبلا تنبيه على هذا الاختلال ، وها هوذا : « ومن زعم ان جوف الظليم انما يذيب الحجارة بقيظ الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لابد من مقدار للحرارة [و] نحو غرائز أُخر وخاصيات أُخر ، ألا ترى أن القدور التي يوقد تحتها الايام والليالي لاتذوب » .

الأرنب حلال وله ناب ، ولكنه ضعيف لا يعدو به »[٢١٢] .

(٣) وابن خالويه ، قال : « والصوابُ أنّ أوّل أفعلُ ، بدليل صحبة من إيّاه ، تقول أول من كذا »[٢١٣] .

(٤) وعبدالقاهر الجرجاني ، قال في كتابه « أسرار البلاغة » : « فأنت في هذا النحو من الكلام ، انما تعرف أن المتكلم لم يرد ما الاسم موضوع له في أصل اللغة ، بدليل الحال أو افصاح المقال بعد السؤال »[٢١٤] .

(٥) وابن ناقيا البغدادي ، قال في كتابه « الجمـان في تشبيهات القرآن » : « ... وانما الوجه في الحديث ما ذكرناه بدليل الآية ... »[٢١٥].

(٦) وابن الأنباري ، قال في كتابه « الانصاف في مسائل الخـلاف » ، في الكلام على «مازال» : « مانفي بدليل أنا لو قدّرنا زوال النفي عنها لما كان الكلام ايجاباً »[٢١٥] ، ثم قال في الكلام على « ليس » : « وهي فعل بدليل الحاق الضمائر وتاء التأنيث بها »[٢١٦] .

(٧) وابن هشام ، بقوله في «إذا» : « .. وإنه لا يمتنع التعليق ب (كائناً) مع بقاء اذا على الاستقبال ، بدليل صحة مجيء الحـال المقدّرة باتفاق .. »[٢١٧] ، وقال في الباء : « فقيل تختص بالسؤال نحو : فاسأل به خبيراً ، بدليل يسألون عن أنبائكم »[٢١٧] ، وقـال : « .. أربٌ يبول الثعلبان برأسه ، بدليل تمامه : لقد هان من بالت عليه الثعالب »[٢١٧] ، وقال في « لن » : « ولا أصل لن (لا أن) فحذفت

---

(٢١٢) « حياة الحيوان » ج٢ ص ٧٢ .
(٢١٣) « المزهر » للسيوطي ج٢ ص ٦٠ .
(٢١٤) ص ٢٦٠
(٢١٥) ص ٢٨٣ تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي . دار الجمهورية . بغداد ١٩٦٨ م .
(٢١٦) ج١ ص ١٠١ ثم ص ١٠٤ .
(٢١٧) « مغني اللبيب » ج١ ص ٩٥ ثم ص ١٠٤ ثم ص ١٠٥ ثم ص ٢٨٤ ثم ص ٢٨٧ على التوالي .

الهمزة تخفيفاً والألف للساكنين خلافاً للخليل والكسائي بدليل جواز تقديم معمول معمولها عليها»[٢١٧]، وقال في «لعلَّ» : «وتتصل بلعلَّ ما الحرفية فتكفها عن العمل، لزوال اختصاصها حينئذ، بدليل قوله :

أعد نظراً ياعبد قيس لعلما
أضاءت لك النارُ الحمارَ المقيدا »[٢١٧]

(٨) وعلي بن محمد الجرجاني، قال في كتاب «التعريفات» : «التدقيق : إثبات المسألة بدليل دق طريق لناظريه »[٢١٨] ـ كذا.

(٩) والملك الرسولي علي بن داود، قال في كتابه «الاقوال الكافية والفصول الشافية في علم البيطرة» : «ومحتمل أن يكون الشؤم في هذه التي ترتبط للجهاد في سبيل الله، وأنها المخصوصة بالبركة، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : الخيل ثلاثة، فرس للرحمٰن، وفرس للانسان، وفرس للشيطان »[٢١٩].

(١٠) وقال الفيومي في «اِبن» : «وقيل أصله بِنْوٌ بكسر الباء مثل حمل بدليل قولهم بنت »[٢٢٠].

(١١) والسيوطي بقوله في «همع الهوامع» في الكلام على «تاء» كلتا : «وذهب بعضهم الى أن التاء زائدة للتأنيث بدليل حذفها في النسب ... وذهب الكوفيون الى أن لفظها مثنى، وأصلها كل بدليل سماع مفرد

---

(٢١٨) الورقة ٢٢ من المخطوط المحفوظ في المكتبة البريطانية بلندن برقم OR : 4218.

(٢١٩) الورقة ٥ من النسخة المخطوطة المحفوظة في المكتبة البريطانية بلندن، وأظن أن في اسم المؤلف سهواً، وأن الصواب «السلطان عمر بن السلطان يوسف بن عمر بن علي»، وأن نسختي الفاتيكان المخطوطتين اللتين عنوانهما «المغني في البيطرة»، واللتين تحملان اسم مؤلفهما «السلطان عمر بن السلطان يوسف بن عمر بن علي»، هما تأليف رجل آخر، وكنت قدمت الى المكتبة البريطانية (قسم المخطوطات) تقريراً في هذا الشأن، وفيه مقابلة بين هذه النسخ الثلاث، وذلك في تشرين الأول ١٩٧٦م، وهو الآن محفوظ لديهم.

(٢٢٠) «المصباح المنير»، مادة «الابن».

كلتا في قوله : في كلت رجليها سلامى واحدة »[٢٢١] .

(١٢) والشهاب الخفاجي ، بقوله في « شرح درّة الغوّاص ... » : وأصل آل أهل ، بدليل قولهم في تصغيره أهيل »[٢٢٢] .

(١٣) والطبيب الأديب داود الأنطاكي ، بقوله في « تذكرة اولي الألباب والجامع للعجب العجاب » ، في كلامه على « الراوند » : « والظاهر أنه يُقلع محتاجاً الى نضج ما ، فيدفن في الأرض مدّة ، بدليل ما فيه من التخلخل »[٢٢٣] .

هذه شواهد « بدليل » بدأتها بزمان الجاحظ وختمتها بزمان الشهاب الخفاجي ، والثقة بأصحابها أفضل عاقبة ، وأحمدُ مغبّة . أما أن يُخطيء رجال النحو في استعمالهم « بدليل » ، كابن هشام وابن خالويه ، وكلاهما علاّمة في اللغة والنحو معاً ، فهيهات . وعسى أن يكون فيما بسطته من كلام على « بدليل كذا » ما يعيد حسن الرأي فيها ، والتعويل عليها .

أما قوله إنّ « بدلالة كذا » كانت تستعمل في القرن الرابع للهجرة وقبله ، ثم نشأ قولهم بدليل كذا ، فقد يوحي لكثير من الناس أن في الأدب العربي نصاً مدوناً أو أكثر لـ « بدلالة كذا » يعود الى ما قبل أيام الدولة العباسية بزمان قصير أو طويل ، حتى اذا انتهت المئة الرابعة للهجرة برزت « بدليل كذا »، مع أننا لم نستطع، لا أنا ولا هو، أن نجد شاهداً لـ « بدلالة كذا » ولا ل « بدليل كذا » أقدم من أيام الدولة العباسية . وقد يكونان استعملا قديماً ، ثم اتفق أن دُوّنا أيام العباسيين في أيام متقاربة . على أن النصوص التي جئنا بها أنا وهو تلمح الى أن « بدليل كذا » أقدم استعمالاً من « بدلالة كذا » ، لدخولها في كلام الجاحظ وقد توفي سنة ٢٥٥ هـ ، والى أن البون بينهما نحو من مئة سنة .

---

(٢٢١) مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ .
(٢٢٢) ص ٦ من « شرح درّة الغوّاص ... » .
(٢٢٣) ج١ ص ١٥١ المطبعة العثمانية المصرية ١٣٥٦ هـ .

بعـــض

وفي أثناء تصحيحه قولهم « رأيتهم يتكلم أحدهم مع الآخـر » بـ « رأيتهم يتكلم بعضهم مع بعض » جاءنا برأي جديد في « بعض » جاء فيه أنها « تدلّ على الواحد والواحدة اذا كانت غير مكرّرة ، فاذا كرّرت دلّت على الجماعة ـ ص ١٨٥ » ، ثم قال : « فاذا قلت : رأيت بعض أصدقائي في بعض الأيام فمعنى ذلك عند فصحاء الأمة العربية : أنك رأيت أحـد أصدقائك في أحد الأيام ـ ص ١٨٥ » ، واستشهد لدلالتها على الواحد بقوله تعالى : « ولو نزّلناه على بعض الاعجمين فقرأه »(٢٢٤) ، وقوله : « واذ أسرّ النبيّ الى بعض أزواجه حديثاً فلمّا نبّأت به »(٢٢٥) ، وقوله: « وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة »(٢٢٦) ، وبقول لبيد :

تـرّاك أمـــكنة اذا لم أرضـــها
أو يرتبط بعض النفوس حمامها(٢٢٧)

وبقول بشار بن برد :

ياقـــوم أذني لبعض الحـــي عاشقة
والأذن تعشق قبـــل العـين احيانا(٢٢٨)

وبقول أبي دُلامة :

أُقاد الى الســـجون بغـير ذنب
كأني بعض عمّـــال الخـــراج(٢٢٩)

---

(٢٢٤) سورة الشعراء ، الآية ٢٦ .

(٢٢٥) سورة التحريم ، الآية ٦٦ .

(٢٢٦) سورة يوسف ، الآية ١٠ .

(٢٢٧) « شرح القصائد التسع المشهورات » لأبي جعفر النحاس . تحقيق احمد خطاب . القسم الاول ص ٤١٧ . مطبعة الحكومة . بغداد ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .

(٢٢٨) « ديوان بشار بن برد » .

(٢٢٩) « العقد الفريد » ج١ ص ٢٦١ .

قلتُ : الذي قاله في « بعض » احتوى على معنيين :

أحدهما : اذا كررت «بعض» دلّت على الجماعة ، وهذا سهو منه لجواز دلالتها على الواحد ، فاذا وقف جماعة من الناس واحداً خلف واحد على خط مستقيم وقلنا « وقف بعضهم خلف بعض » كانت « بعض » دالة على الواحد بالبداهة ، على تكرارها[٢٣٠] ، ومنه قوله تعالى : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته »[٢٣١] ، ومنه ما قاله المبرد شارحاً قول الرسول «ص» : لو تكاشفتم ما تدافنتم ، قال : « يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه »[٢٣٢] . أما دلالتها على الجماعة وهي مكررة ـ ولم يأتنا رحمه الله بشاهد على ذلك ـ فكقوله تعالى : « والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »[٢٣٣] .

والآخر : اذا لم تكرّر « بعض » دلّت على المفرد ، وهذا سهو منه كذلك ، لجواز دلالتها على الجمع ، مع عدم تكرارها ، وأنا ذاكر ههنا من الشواهد ما يُبطل رأيه :

شواهد « بعض » الدالة على الجمع بلا تكرير :

(١) قال المرقش الأصغر :

شــــهدت به عن غارة مسبطرّة
يطاعن بعضُ القوم والبعض طُوّحوا[٢٣٤]

(٢) وقال عبدة بن الطبيب :

---

(٢٣٠) « على تكرارها » او « مع تكرارها » هو الكلام الفصيح الذي ينبغي أن يعتاض به من غير الفصيح الشائع في هذا العصر وهو « على الرغم من تكرارها » .

(٢٣١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٣ .

(٢٣٢) « الكامل » للمبرد ج١ ص ٢٥٩ .

(٢٣٣) سورة الأنفال ، الآية ٧٢ .

(٢٣٤) « جمهرة أشعار العرب » ص ٢٠١ .

إذْ أشرف الديك يدعو بعض أسرته

الى الصباح وهم قوم معازيل[٢٣٥]

(٣) وقال عبدالله بن رواحة من أبيات أنشدها للنبي «ص» :

ولو سألت أو استنصرت بعضهم

في جلّ أمرك ما آووا وما نَصَروا[٢٣٦]

(٤) وقال أُبي بن حُمام المرّي :

وسيّانِ عندي أن أموت وأن أُرى

كبعض رجال يوطنون المغازيا[٢٣٧]

(٥) وجاء في « نهج البلاغة » أن الإِمام علياً «ع» قال : حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعة لأهل الجهالة »[٢٣٨] .

(٦) وقال جرير :

لما تشوّق بعض القوم قلت لهم

أين اليمامة من عين السواجيرِ[٢٣٩]

وقال أيضاً :

الا ليت أن الظاعنين بذي الغضا

أقاموا وبعض الآخرين تحملوا[٢٣٩]

(٧) وقال الحكم الخضري :

أظنت بنو عثوان أن لست شاتماً

بشتمي وبعض القوم حمقى ظنونها[٢٤٠]

(٢٣٥) «لسان العرب» ، مادة (عزل)۰ وقد نبّه الصاغاني في « التكملة »على أن الرواية الصحيحة في قول « الى الصباح » هي « لدى الصباح »۰

(٢٣٦) « طبقات الشعراء » لابن سلام ص ٨٨ ۰

(٢٣٧) « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي ۰ القسم الاول ص ٤١٧ ۰

(٢٣٨) ج ٢ ص ٢٥١ ۰

(٢٣٩) « ديوان جرير » ۰ جمع محمد اسماعيل عبدالله الصاوي ۰ ص٢٥٥ و٤٥٥ على التوالي ۰ طبعة بيروت ۰

(٢٤٠) « الأغاني » ج٢ ص ٣٠١ ۰

(٨) وقال أيضاً :

قـد كان يُعجب بعضهـــن براعتي
حتى سـمعن تنحنحي وسـعالي[٢٤١].

(٩) وقال كعب الأشقريّ :

قيس صريح وبعض الناس يجمعهـم
قـــرى وريف ومنسوب ومقترف[٢٤٢].

(١٠) وقال العرجي :

وقد علمتِ اذا ما الليل أعظَـمَـــهُ
بعض الرجال وهابوا الهول فاكتنسوا[٢٤٣].

(١١) وقال الفرّاء : « وبعض بني أسد وقضاعة ينصبون غيراً اذا كان في معنى اِلاّ »[٢٤٤] .

(١٢) وجاء في « البيان والتبيين » للجاحظ : « وقال حين مرّ ببعض القوم فشتموه »[٢٤٥] .

(١٣) وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » : « وبعض الرواة يذكرون أن هذا الشعر لأسقف نجران »[٢٤٦] .

(١٤) وجاء في « الأغاني » في خبر سعيد بن العاص والحطيئة : « فقال له بعض قومه : لقد عرّضتنا ونفسك للشر ، قال : وكيف ؟ قالوا :

---

(٢٤١) « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر ص ١٥٧ .

(٢٤٢) « الأغاني » ج١٤ ص ٢٩٩ ، وفي كتاب « شعراء أمويون » القسم الثاني ص ٤١٣ ، للدكتور نوري حمودي القيسي ، « فمنسوب » بالفاء لا الواو . طبعة الموصل ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

(٢٤٣) « ديوان العرجي » ص ١٥١ رواية ابي الفتح ابن جني ، وتحقيق وشرح خضر الطائي ورشيد العبيدي . الطبعة الاولى . بغـــداد ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

(٢٤٤) « مختار الصحاح » ، مادة « غ ي ر » .

(٢٤٥) ج٢ ص ٩٤ تحقيق السندوبي . الطبعة الثانية .

(٢٤٦) ص ٢٠ الطبعة الاولى . المطبعة الاسلامية ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤ م .

هذا الحطيئة وهو هاجينا »[٢٤٧] .

(١٥) وجاء فيه أن أعرابياً كان سمع قول القطامي :

قد يُدرك المتأني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزللُ

فقال : فهلا قال بعد بيته هذا :

وربما ضرّ بعض الناس بطؤُهُمُ
وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا[٢٤٨]

(١٦) وقال الزمخشري في شرحه قوله تعالى « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل » ، قال : « أولو العزم بعض الأنبياء ، قيل هم نوح صبر على أذى قومه ... وابراهيم على النار وذبح ولده وذهاب بصره ، ويوسف على الجب والسجن ، وأيوب على الضرّ ... وموسى وداود ... وعيسى »[٢٤٩] .

فبعض جائية بمعنى الجمع مجيء الاستفاضة ، من أيام الجاهلية الى أيام الدولة العباسية ، وهو معنى ما لنا له مترك ، ولا عنه معدل . على أنها قد تدلّ على المثنى ، وذلك حين يعين على دلالتها لسان الحال أو سياق الكلام ، فاذا جاء اثنان من قوم صحّ أن يقال « جاء بعض القوم » ، ولذلك قال احمد بن يحيى الملقب بثعلب : « لأن بعض الأصابع يكون اصبعاً واصبعين وأصابع »[٢٥٠] . أما استشهاده ، رحمه الله ، ببيت لبيد ، وقد اختلف في معنى « بعض » فيه ، وببيتي بشار وأبي دُلامة وهما مولدان ، وذلك للدلالة على استعمال « بعض » للمفرد ، فقد كان أولى له أن يعدل عن تلك الابيات الى قول زهير بن أبي سلمى :

---

(٢٤٧) ج٢ ص ١٦٨ .
(٢٤٨) ج٢٢ ص ٢١ .
(٢٤٩) « الكشاف » . شرح سورة الاحقاف . الآية ٣٥ .
(٢٥٠) « لسان العرب » . مادة « ب ع ض » .

ولأنت تفري ماخلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفري[٢٥١]

وقول المسيّب بن علس :

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم
متفــرّق ليحــلّ بالأوزاع[٢٥٢]

وقول عبيد بن الأبرص :

نحمي حقيقتنا وبعض الـ قوم يسقط بين بينا[٢٥٣]

« **بعض » لاتكون بمعنى « كُلّ »** : وما أجد بأساً في استقصاء القول في «بعض» بعض الاستقصاء ، فأقول : قال ثعلب : « أجمع أهل النحو على أن البعض شيء من أشياء ، أو شيء من شيء ، الا هشاماً فانه زعم أن قول لبيد : أو يعتلق بعض النفوس حمامها ، فادّعى وأخطأ أن البعض ههنا جمع »[٢٥٤] • فأما دلالتها على شيء من أشياء فمعناه دلالتها على الواحد والاثنين والجمع ، وقد تقدم من الشواهد على ذلك ما يجزىء عن مزيد منها • وأما دلالتها على شيء من شيء فكقوله تعالى : « قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسئل العادّين »[٢٥٥] ، وكقول امرىء القيس :

فبعض اللــوم عاذلتــي فانِي
سيكفيني التجارب وانتسابي[٢٥٦]

---

(٢٥١) « شرح ديوان طرفة وزهير » المخطوط والمحفوظ في المكتبة البريطانية بلندن •

(٢٥٢) ص ١١٧ من كتاب « الاشتقاق » للأصمعي ، تحقيق وشرح الدكتور سليم النعيمي • مطبعة أسعد • بغداد ١٩٦٨ م •

(١٥٣) الورقة ٥٦ من كتاب « جمهرة أشعار العرب » المنسوب الى ابي زيد محمد بن الخطاب القرشي المخطوط والمحفوظ في المكتبة البريطانية بلندن برقم OR : 3158 .

(٢٥٤) « لسان العرب » ، مادة « ب ع ض » •

(٢٥٥) سورة المؤمنين ، الآية ١١٣ •

(٢٥٦) الورقة ١٣ من « ديوان امرىء القيس » المخطوط والمحفوظ في المكتبة البريطانية في لندن برقم OR : 1072 .

وأما أن يكون معناها الجمع في قول لبيد المذكور فخطأ واضح ، وقد حاف القائل به على اللغة العربية والقرآن المجيد عن جهل أو علم ، فقد جرّ هذا الخطأ الى خطأ في تفسير قوله عزّ وجل : « وإن يكُ صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم »(٢٥٧) ، فقيل إن بعضاً ههنا بمعنى كلّ ، وأجاد ثعلب في تصحيح هذا الخطأ بقوله : « إنه كان وعدهم بشيئين ، عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فقال يصبكم هذا العذاب في الدنيا وهو بعض الوعدين من غير أن نفي عذاب الآخرة »(٢٥٨) ، وجرّ الى خطأ في تفسير بيت لابن مقبل ، وهو :

لولا الحياء ولولا الدين عبتكما
بعض ما فيكما إذ عبتما عَوَرَى(٢٥٨)

فقيل إنه « أراد بكل ما فيكما »(٢٥٨) ، ومعنى البيت عندي هو : لولا حيائي وديني لعبتكما ببعض ما فيكما ولم اتجاوز البعض ، فأعرب بذلك عن كرم خلقه ، وطهارة نفسه ، على أن في قوله ضعف مبنى وسخف معنى ، لوضعه بعضاً في موضع يكاد يخسف بمعناها ، ولتكريرد ما عيّر إيّاه وهو العَوَر ، فنبّه غافلاً ، وأعلم جاهلاً ، وكان يحسن منه أن يحمّل بيته معنى أفضل نحو : لولا حيائي وديني لاجبتكما بما تندمان عليه ، أو بما يكشف عن العورة ويهتك المروءة .

ووهم أحمد بن محمد الجرجاني في شرح قول الفرزدق في ابنه لبطة :

أصاخ لعريان النجيّ وإنه لأزور عن بعض المقالة جانبه

فقال في كتابه « المنتخب من كنايات الادباء وإشارات البلغاء » : « وأراد بقوله عن بعض أي عن كلها(٢٥٩) ، ولم يرد بعضها ، وهذا كقول لبيد :

(٢٥٧) سورة غافر ، الآية ٢٨ .
(٢٥٨) « لسان العرب » ، مادة « ب ع ض » .
(٢٥٩) كذا ، و « أي » ههنا زائدة ، وقوله « كلها » الوجه فيه « كل » ، واحسب ذلك من عمل ناسخ ماسخ .

أو يخترم بعض النفوس حمامها » (٢٦٠) . وعندي أن المعنى أن ابنه يستمع لكلام زوجه في حين يأبى الاستماع لبعض مقالة أبيه (٢٦١) ، ولم يكن الفرزدق محتاجاً الى معنى « كل » ، لأن « بعضاً » ههنا أقرب الى إثبات العقوق ، وإلزام الحجة . فلو قلنا « امتنع زيد من منح عمرو درهماً » كان أبلغ في الدلالة على بخل زيد من قولنا « امتنع زيد من منح عمرو ديناراً » ، فالدرهم نظير «بعض» فيما قصد اليه الفرزدق ، والدينار نظير «كلّ» في الذي توهمه الجرجاني .

البعض : وقد أنكر جماعة من العلماء استعمال « بعض » بالألف واللام ومنهم أبو حاتم ، قال : « ولا تقول العرب الكل ولا البعض ، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والاخفش في كتبهما لقلة علمهما بهذا النحو » (٢٦٢) . وقد أخذ ابو حاتم علمه في هذه المسألة عن الاصمعي ، اذ أخبره بخطأ ابن المقفع في قوله : « العلم كثير ولكن البعض خير من ترك الكل » . واستعمل الزجاجي «البعض» وقال كالمعتذر : « وإنما قلنا البعض والكل مجازاً وعلى استعمال الجماعة له مسامحة وهو في الحقيقة غير جائز » (٢٦٢) .

قلت : لا يخطىء من يقول « البعض » لورودها في شعر المرقش الأصغر ، فانه قال :

شهدت به عن غارة مسبطرة ... يطاعن بعض القوم والبعض طوّحوا (٢٦٣)

---

(٢٦٠) ص ١٠٤ تصحيح محمد بدر الدين النعساني . الطبعة الاولى . مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م . .

(٢٦١) جاء في « أساس البلاغة » ، مادة « ع ر ى » : « ويقال للذي لايكتم السرّ عريان النجيّ » ، واستشهد ببيت الفرزدق المذكور ، وهو معنى بعيد لم يقصد اليه الفرزدق ، والمعنى القريب ما ذكره الجرجاني من ان المرأة تناجي زوجها على الفراش عريانة .

(٢٦٢) « لسان العرب » ، مادة « ب ع ض » .

(٢٦٣) « جمهرة أشعار العرب » ص ٢٠١ .

وأظنّ أني أول من أتى بشاهد قديم على صحة استعمال «البعض» •

مختصر القول في « بعض » : ومختصر القول في « بعض » أنها تدل على الواحد والاثنين والجمع وجزء الشيء • وأما قول أستاذي الدكتور مصطفى جواد رحمه الله ، بدلالتها على المفرد اذا كانت غير مكررة فاذا كررت دلّت على الجماعة ، فلم يقل به أحد من قبل ، وهو مدفوع بما قدّمت من شواهد • وأما أقوال بعض القدامى بدلالتها على « كل » فأقوال بُنيت على التظنّي والحدس ، بلا دليل يسندها ، ولا حجة تعضدها • وأما رأي الأصمعي ومن تابعه بعدم جواز دخول الألف واللام عليها ، فمدفوع ببيت المرقش الاصغر المذكور آنفا •

أحاطوا المحادثات بالكتمان

وقال رحمه الله : قل أحاطوا الكتمان بالمحادثات ، وينبغي إحاطتهم المحادثات به، ولا تقل أحاطوا المحادثات بالكتمان، وينبغي احاطتهم المحادثات به ــ ص ١٥٧ » ، وقال شارحاً : « وذلك لأن معنى أحاط الشيء بغيره ، وإحاطته إيّاه بغيره هو جعله كالحائط والحِضار ، والسور والجدار ــ ص ١٥٧ » يريد أن قولهم : أحاطوا المحادثات بالكتمان معناه أن المحادثات جعلت كالحائط حول الكتمان لحفظه ، ثم قال : « ولا يجوز قلب المعنى » ، ولم يذكر السبب في عدم الجواز • واستشهد لتصحيحه بقول في « نهج البلاغة » هو : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال ووقت لكم الآجال ••• وأحاط بكم الاحصاء » ، وبدعاء جاء فيه : « اللهم من أراد بنا سوءاً فأحط به ذلك السوء كإحاطة القلائد بترائب الولائد » •

قلتُ : قولهم « أحاطوا المحادثات بالكتمان » صحيح ، وهو من باب قلب المعنى ، وشرطه أن لا يدخله لبس ، فكيف وقد بعد من اللبس ، وارتضاه الناس منذ مئة سنة أو يزيد ؟ قال الله عزّ وجل : « وآتيناه من

«الكنوز ما إن مَفَاتحه لَتَنوء بالعصبة أُولي القوّة »[٢٦٤] ، والعصبة هي التي تنوء بالمفاتح ولا تنوء المفاتيح بالعُصبة • وقال جلّ ثناؤه : « فما ربحت تجارتهم »[٢٦٥] ، والتجارة لا تربح وإنما يُربح فيها ، وقال عزّ اسمه : « فاذا عزم الامرُ »[٢٦٦] ، أي : فاذا عزمتم انتم على الامر • ومن كلام العرب : إنّ فلانة لتنوء بها عجيزتها ، والمعنى لتنوء بعجيزتها • وقال الاخطل:

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت
نجرانُ أو بلغت سوآتهم هَجَرُ[٢٦٧]

فجعل الفعل لنجران وهجر بدلاً من سوآتهم • وقال الشاعر : « كما كان الزنا فريضة الرجم »[٢٦٨] أراد كما كان الرجم فريضة الزنا • وقال الشاعر : « وتشقى الرماح بالضياطرة الحُمْرِ »[٢٦٩] أراد وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح[٢٧٠] • وقال ابو كبير الهذلي :

(٢٦٤) سورة القصص ، الآية ٧٦ •
(٢٦٥) سورة البقرة ، الآية ١٦ •
(٢٦٦) سورة محمد ، الآية ٢١ •
(٢٦٧) هذه رواية أبي عبيدة في « الكامل » ج١ ص ٣٢٢ ، وفي « شعر الاخطل » ص ١١٠ رواية ابي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن أبي سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي :
على العيارات هَدّاجون قد بلغت
نجرانَ أو حُدّثت سوءاتهم هَجَرُ
تحقيق الأب انطون صالحاني • المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩١ م •
(٢٦٨) نسبه الثعالبي في « فقه اللغة » الى الفرزدق ، ولم أجده في ديوانه، طبعة صادر ببيروت ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م ، ووزن العجز لايستقيم الا بـ « الزناء » بالهمز بدلاً من « الزنا » •
(٢٦٩) نسبه الثعالبي في « فقه اللغة » الى الفرزدق ، ولم أجده في ديوانه المذكور آنفاً •
(٢٧٠) أخذت شواهد قلب المعنى المنتهية بهذا التذييل من كتاب «الكامل» للمبرد ج١ ص ٣٢٢ ، وكتاب « ليس » لابن خالويه ص ٥٩ ، وكتاب « فقه اللغة » للثعالبي ص ٥٦٥ ، وخلطت الكلام واختصرت وبدلت بعض التبديل بما يفضي الى مزيد وضوح •

فأتت به حُوشَ الفـؤاد مُبطّناً

سُهداً اذا مانام ليل الهَوْجَلِ

وقال فيه ابن الجزري : « وانما قال ذلك : اذا ما نـام ليـل الهوجل ، فأضاف النوم الى الليل وجعله له لأنه فيه يكون النوم • يقال نام ليل فلان اذا نام هـو في الليل ••• ومثله كثير »[(٢٧١)] •

ووجدت أحمد بن محمد النحاس اسـتعمل قلب المعنى في شرحه بيتاً لزهير بن أبي سلمى ، قال : « والوَشم أن تُغَرَّز الذراع بحديدة حتى تدمى ثم يُجعل عليها كحل ونحوها حتى تخضر »[(٢٧٢)] ، والـذراع لاتُغَرّز بحديدة ، وانما أراد أن تُغرّز الحديدة في الذراع • ومنـه قول الجاحظ : « بدليـل أن القِـدر يوقـدُ عليها الأيام ولا تذيب الحجـارة »[(٢٧٣)] ، وانمـا القدر يوقـد تحتهـا لا عليهـا •

ويدخل في باب قلب المعنى المفعول الآتي بلفظ الفاعل ، كقولهم : « مكان عامر أي معمور » ، وكقول النابغة الذبياني :

كتمتك ليـلاً بالجمومـين سـاهراً

وهمـين همّاً مسـتكناً وظاهـرا

قال ابن السكّيت في هذا البيت : « ويقال ليـل سـاهر وليل نائم اذا نيم فيه وسُهر »[(٢٧٤)] ، ويدخل فيه الفاعل الآتي بلفظ المفعول كقوله جـلّ جلاله : « إنه كان وعده مأتيّاً »[(٢٧٥)] ، أي آتياً ، وكقوله عز وجـل : « حجاباً مستوراً »[(٢٧٦)] ، أي ساتراً • ويدخل فيه قلب أحرف الكلمـة

---

(٢٧١) « شرح ديوان الحماسة » لابن الجزري • الورقة ١٥ من المخطوط المحفوظ في المكتبة البريطانية برقم OR : 3711 .

(٢٧٢) « شرح القصائد التسع المشهورات » • القسم الأول ص ٣٠١ •

(٢٧٣) « حياة الحيوان » للدميري ج٢ ص ٣١٢ •

(٢٧٤) « ديوان النابغة الذبياني » ، صنعة ابن السكّيت • تحقيق الدكتور شكري فيصل ص ١٣٠ •

(٢٧٥) سورة مريم ، الآية ٦١ •

(٢٧٦) سورة الإسراء ، الآية ٤٥ •

كقولهم : أوشاب وأوباش ، وشاكي السلاح وشايك السلاح • قلتُ : وقد يُقلب ترتيب الألفاظ في عبارة ، كالذي يقال له في الشعر : ردّ العجز على الصدر ، نحو قول عبدالباقي العمري :

ريح الصّبا تضمّخت بطيبه
بطيبه تضمّخت ريح الصّبا (٢٧٧)

وغير بعيد منه قول صديقي الأديب الشاعر فاضل مهدي :

بلى وبطنجةٍ عرس الصبايا
رجوع صبا الشيوخ الى النشاط (٢٧٨)

كأنه عكس ترتيب الألفاظ في عنوان كتاب اشتهر ب «رجوع الشيخ الى صباه» •

أمّا أن لا يجوّز رحمه الله تأوّل « أحاطوا المحادثات بالكتمان » بقلب المعنى فغير متّجه ، لأن سيرورة العبارة وشيوعها وعدم اللبس فيها ، كل اولئك أجاز لها أن تدخل مدخل البلاغة ، وإن كنت أُوثر تجنّبها في كلامي • وباب البلاغة مفتوح على مرّ الدهور لمن بيده مفتاحها ، وإن كان مفتاحها لدى أبي العتاهية من خشب ، وهو من شعراء الدولة العباسية (٢٧٩)، وكثير من شعره مرذول كقوله :

الا يا عتبة الساعة° أمرت الساعة الساعة°

فالجواهري ، وهو من شعراء هذا العصر ، بيده مفتاح البلاغة من ذهب ، ومما أُعجب به الناس من شعره قصيدته التي جاء فيها :

---

(٢٧٧) ديوان عبدالباقي العمري ص ٩٠ الطبعة الثانية • مطبعة النعمان • النجف الأشرف •

(٢٧٨) مجلة « البلاغ » • العدد السابع ـ السنة السادسة ١٩٧٦ • بغداد ـ الكاظمية •

(٢٧٩) أرى أن كثيراً من شعر أبي العتاهية يعوزه فخامة اللفظ وشدة الأسر وحسن الديباجة ، ثم إن الجيد من شعره فيه من المسروق ما فيه • أما اختيار المبرّد طائفة من شعره في « الكامل » ففيه نظر •

ألقـى اليهـم وزره فتحمّـلوا

أثقاله حمـل الثياب مشـاجبا(٢٨٠)

مع أن « حمل الثياب مشاجبا » من المعاني المقلوبة ، لجعله الثياب تحمـل مشاجب ، بدلاً من أن تحمل المشاجب ثياباً .

ويجـوز أن نعدّ قولنا في هذا العصر « عيادة الطبيب فلان » من المعاني المقلوبة ، يؤيدنا في ذلك واقع حال المريض ، فانه يتحامل على نفسه «ليعود» الطبيب حيث يقيم ، وأنا حين أرى مرضى مزدحمين على عيادة طبيب يخطر ببالي أحياناً قول الشاعر :

اذا مرضنا أتيناكـم نعُود كُم ُ   وتُذنبون فنأتيـكم فنعتذر

ثم اِنّ قولهم « أحاطوا المحادثات بالكتمان » وتصحيحه اِيّاه بقـوله « أحاطوا الكتمان بالمحادثات » لم يرد أي منهما في كلام قديم ، والشاهدان اللذان جاء بهما من « نهج البلاغة » ومن بعض الأدعية لا صلة لهما بكتم المحادثات ، والمستعمل قديماً كتم الحديث والسر والأمر ونحو ذلك ، كقول العـرجي :

أنـاس أمناهـم فنثّوا حديثنـا

فلمـا كتمنـا السرّ عنهـم تقوّلوا (٢٨١)

فقال « كتمنا السرّ » وأراد به الحديث ، ولم يقل أحطنا الكتمان بالسرّ ، ولا أحطنا السرّ بالكتمان ، وكقوله تعالى : « لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون

---

(٢٨٠) « ديوان الجواهري » ج٣ ص ٣٩٩ . طبعة وزارة الاعلام . مطبعة الأديب . بغداد ١٩٧٤ م . وقد دلّني على هذا البيت منبهاً اِياي على قلب المعنى فيه الشاعر فاضل مهدي ، وكنت انصـرفت عن الأدب الحديث ، ومنه شعر الجواهري ، الى الأدب القديم منذ زمان بعيد ، وليس من نهجي في هذا الكتاب الاستشهاد بالأدب الحديث ، ولكن البحث في هذا الموضوع احوجني الى ربط الشواهد القديمة بالحديثة .

(٢٨١) « ديوان العرجي » ص ١٢ .

الله حديثاً »[٢٨٢] ، وكقوله عزّ وجلّ : « وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه »[٢٨٣] ، وكقوله تبارك اسمه : « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه »[٢٨٤] . قال لي صديق : قد تعوّدت « أحاطوا المحادثات بالكتمان » ونحوه عادة لا معدل لي عنها ، بحيث اذا قلتُ : أحاطوا الكتمان بالمحادثات شعرت كأني قد أُدير بي . فتصحيحه يصعب الأخذ به ، وإبقاء العبارة على حالها ، على تأول قلب المعنى أولى ، فان كان لابد من التصحيح فبأيسر من ذلك ، وهو بحذف الهمزة من « أحاط » ، فيقال : « حاط المحادثات بالكتمان » ، أي حفظها ورعاها بالكتمان .

بعثه وبعث به

وقال رحمه الله : « قل بعثت اليه بكتاب وبهدية ، ولا تقل بعثت اليه كتاباً وبعثت اليه هدية ـ ص ١٨٧ » وقال شارحاً : « وذلك لأن الكتاب لا ينبعث بنفسه أي لا يسير بنفسه ، ولأن الهدية لا تنبعث بنفسها أي لا تسير بنفسها ، فينبغي أن يكون معهما مبعوث » ، وقال إن نظير « بعث » أرسل ووجّه ، ثم قال : « فاذا كان المشار اليه ينبعث بنفسه قلت : بعثت سفيراً وأرسلت رسولاً ووجهت مندوباً » .

قلتُ : أول من نبّه على « بعث » ابن فارس في « تمام فصيح الكلام »[٢٨٥] فانه جعله في « باب ما يقال بحرف الخفض » ، ومثّل له قائلاً : « بعثت اليك بالمال وبالثوب » ، ثم تابعه في ذلك الحريري في « درّة الغوّاص » ، ولكنه وسّع الكلام فيه ، قال : « ومن أوهامهم أنهم يُدخلون

---

(٢٨٢) سورة النساء ، الآية ٤٢ .
(٢٨٣) سورة البقرة ، الآية ١٤٦ .
(٢٨٤) سورة البقرة ، الآية ٢٨٣ .
(٢٨٥) « رسائل في النحو واللغة » ص ٢١ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني . بغداد ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م .

الباء في معمول بعث وأرسل أعني المبعوث والمرسل مع كونه مما يتصرف بنفسه كالغلام ويتركونها فيه مع كونه مما يحمل وينقل كالكتاب ، والعرب تترك الباء في الأول وتدخلها في الثاني ، وقد عيب على المتنبي في قوله :

فآجرك الالٰه على عليل بعثت الى المسيح به طبيبا »[٢٨٦]

ثم نبه على ذلك الشيخ ابراهيم اليازجي ، قال : « ويقولون بعث برسول الى فلان ، وبعث اليه هدية ، وكلاهما خلاف الصواب ، لأن ما ينبعث بنفسه كالرسول تقول بعثته ،[٢٨٧] وما ينبعث بغيره كالهدية والكتاب تقول بعثت[٢٨٦] به ، فتعدّي الفعل الى الأول بنفسه والى الثاني بالباء »[٢٨٨] ، ثم نبّه عليه الأستاذ أسعد خليل داغر ، فقال : ومما يستعملونه على خلاف وجهه الفعل بعث ، فإنهم يعدونه بالباء الى ما ينبعث بنفسه فيقولون : « ولا تبعث الى هباته بطالب » و « بعث اليه برسول » ، والصواب أن يعدّى بنفسه فيقال : طالباً ورسولاً . ويعدونه بنفسه الى ما ينبعث بواسطة فيقولون « بعث اليه هدية ، وبعث اليه كتاباً » ، والصواب أن يعدّى بالباء فيقال : بهدية وبكتاب . وقس على بعث الفعل أرسل ، فإنّ الأصحّ[٢٨٩] أن يعدّى بنفسه الى الشخص وبالباء الى الشيء ، نحو أرسل اليه رسولاً ، وأرسل اليه بهدية »[٢٩٠] . ثم جاء أستاذي الدكتور مصطفى جواد فأعاده على نحو مبسوط معزّزاً بالشواهد .

جواز « بعثت اليه كتاباً » ونحوه : قلتُ : أظن ان ابن فارس حين جعل « بعث » مما يتعدى بالباء في نحو قولهم « بعثت اليك بالمال وبالثوب »

---

(٢٨٦) ص١٥٦ من كتاب « شرح الطرة على الغرة » لابي الثناء الآلوسي .
(٢٨٧) الفصيح أن يقول « تقول فيه » .
(٢٨٨) ص ٣٧ من كتاب « لغة الجرائد » .
(٢٨٩) كذا ، والفصيح أن يقول « الصحيح » لأن قوله « الأصحّ » معناه أن ما اعترض عليه صحيح .
(٢٩٠) « تذكرة الكاتب » ص ١١٧ . وللراغب في التثبت من النص مراجعة « إصلاح غلط » في آخر « تذكرة الكاتب » .

أراد ﷺ أن ينبّه على الافصح الأجود ، ولم يرد أن حذف الباء وهم ، كما زعم الحريري ، وما قاله ابن فارس هو من لغة القرآن المجيد ، فقد جاء فيه : « فابعثوا بورِقكم هذه الى المدينة[٢٩١] » . وعندي أن قولهم « بعثت اليه بكتاب » ، تقديره « بعثت اليه مبعوثاً ممسكاً بكتاب » ، فالباء الداخلة على كتاب هي من « ممسكاً » ، وذلك نظير قولهم « جرّوا برجله » ، أي جرّوه ممسكين برجله . جاء في كتاب الأغاني في خبر حمّاد الراوية : « ثم قال : جُرّوا برجله ، فجرّوا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً »[٢٩٢] . على أن قولهم « بعثت اليه كتاباً » ونحوه جائز مقبول ، وإن كان دون المقرون بالباء فصاحة ، وذلك خلافاً للحريري وغيره ، فان قيل : يلزم الابقاء على الباء لتدل على المحذوف « ممسكاً » ، كما أُبقي على الباء في نحو « دخلت عليه فاذا أنا به غاضباً » لتدل على المحذوف وهو « مبصر » على تقدير أن الأصل « دخلت فاذا أنا مبصر به غاضباً » ، قلتُ : حذف باء مبصر يمسخ وجه العبارة ويخل بمعناها وإعرابها ، فتصير : « دخلتُ فاذا أنا هو غاضباً » فأُبقيت الباء لذلك ، على حين لا تفسد العبارة اذا قيل « بعثت اليك كتاباً » ، ولا يلتبس معناها بالذي ينبعث بنفسه ، فليس في الدنيا من يظن أن الكتاب انبعث بنفسه ، وتحرك بارادته ، الا أن يكون ممن استحكم جهله ، وتُخُلِّس عقله ، وقد يحتاج الشاعر الى إسقاط الباء ليستقيم وزن بيت له ، كما سيرد في بعض الشواهد الآتي ذكرها :

شواهد « بعث اليه كتاباً » ونحوه : وقد ورد في الأدب القديم نصوص كثيرة ، فيها نظير قولهم « بعثت اليه كتاباً » ، هذه طائفة منها :

(١) جاء في « العقد الفريد » : « ولما أمر معاوية بقتل حُجر بن الأوبر وأصحابه بعث اليهم أكفانهم »[٢٩٣] .

---

(٢٩١) سورة الكهف ، الآية ١٩ .
(٢٩٢) « الأغاني » ج٦ ص ٨٢ .
(٢٩٣) ج٣ ص ٢٣٤ .

(٢) وجاء فيه : « ومن نوكى الأشراف : عبيد الله بن مروان عم الوليد بن عبدالملك ، بعث الى الوليد قطيفة حمراء وكتب اليه : إني قد بعثت اليك قطيفة حمراء حمراء »[٢٩٤] .

(٣) وجاء في « الأغاني » أن عامر بن الطفيل قال للأعشى : « إن مت وأنت في جواري بعثت الى أهلك الدية »[٢٩٥] .

(٤) وجاء فيه : « كان من حديث يوم الصفقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث الى كسرى عيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن »[٢٩٦] .

(٥) وجاء في « عجائب المخلوقات » قول لمؤلفه القزويني في الهليون جاء فيه : « .. كان عامل تلك الناحية يتخذ منه كل سنة شراباً يبعثه إلى صاحب الأربل »[٢٩٧] ــ كذا ــ وأظن أن إدخال الألف واللام على « اربل » من خطأ الطبع أو النسخ ، لانهما لا تدخلان على الاسم الأعجمي .

(٦) وجاء في « وفيات الأعيان » في خبر أبي الأسود الدؤلي : « فقال يا أبا الأسود أما تمل هذه الجبة ؟ فقال : رب مملول لا يستطاع فراقه . فلما خرج من عنده بعث اليه مئة ثوب »[٢٩٨] .

(٧) وجاء فيه أن سيف الدولة أعطى عبدالعزيز بن عمر بن نباتة السعدي فرساً فكتب اليه أبياتاً ، منها :

أولايــة أوليتنــا فبعثتــه   رمحاً سبيبُ العُرف عقد لوائه[٢٩٩]

---

(٢٩٤) ج٦ ص ١٥٧ .
(٢٩٥) ج٩ ص ١٢١ .
(٢٩٦) ج١٧ ص ٣١٨ .
(٢٩٧) ص ٧٦ و ٧٧ ج٢ من إطار « حياة الحيوان » للدميري .
(٢٩٨) ج٢ ص ٢١٧ .
(٢٩٩) ج٢ ص ٣٦٢ .

(٨) وجاء فيه : « ثم إن محمداً ساءت حاله ، فتحوّل عن جواره ، فبلغ ابن حميد ذلك ، فبعث اليه عشرة آلاف درهم »[٣٠٠] .

(٩) وجاء فيه قول بعض البرامكة في خبره مع الجاحظ ، وهو : « وخرجت متعجباً من وقوعه على خبري مع كتماني له وبعثت لـه مئة اهليجة »[٣٠١] .

(١٠) ومن أجل هذه النصوص وغيرها جاز للشاعر أن يقول :

كم بعثنا مع النسيم سلاما　　للحبيب الجميل حيث أقاما

(١١) وجاز لآخر أن يقول :

بعثت كتاب الشوق مني اليكُمُ　　ولي أمل أني أعود اليكُمُ
فان حال أمر الله بيني وبينكم　　أموت غريباً والسلام عليكم

(١٢) وجاء في «معجم الادباء» : « ثم أمر بمكاتبة ابن أسد ، وأمر أن يكتب القصيدة بخطه ويرسلها اليه »[٣٠٢] . وقد أثبتّ هذا النصّ الأخير الدال على جواز « أرسل اليه الكتاب »ونحوه مع نصوص « بعث » لأنه جُعل من بابتها في تنبيه الأستاذ أسعد خليل داغر ، واستاذي الدكتور مصطفى جواد .

فإن كان المبعوث إنساناً ، لايستطيع الانبعاث بنفسه ، كأن يكون مريضاً مرضاً ثقيلاً ، فالوجه الإبقاء على الباء ، فيقال « بُعث بفلان الى المستشفى » ، لأن حذف الباء قد يؤدي الى الظنّ أنّ المرض خفّ لدى المريض حتى صار مقتدراً على الذهاب الى المستشفى بنفسه وبقدرته .

جواز « بعثت اليك برجل ليساعدك » ونحوه : فإن كان المبعوث

---

(٣٠٠) ج٢ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ .

(٣٠١) ج٣ ص ١٤٤ .

(٣٠٢) ج٨ ص ٥٨ مطبوعات دار المأمون . القاهرة .

يستطيع الانبعاث بنفسه فاسقاط الباء منه هو اللغة المختارة ، جاء في التنزيل : « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملته »(٣٠٣) ، على أن دخول الباء عليه جائز مقبول ، خلافاً للحريري ، كأن يُقال « بعثت اليك برجل ليساعدك » ، والباء ههنا زائدة ، تفيد التوكيد ، كقول النابغة الجعدي :

فإن يكن ابن عفّان أميناً ... فلم يبعث بك البرّ الأمينا(٣٠٤)

وقد تزاد لضبط وزن الشعر ، وقد يكون ابن الرومي قصد الى ذلك في قوله :

لي خادم لا أزال أحتسبُهْ ... يغيب حتى يردّه سَغَبُهْ
ترسله لاشتراء فاكهة ... فقصرنا أن تجيئنا كُتُبُه
كم قال ضيفي وقد بعثت به ... هيهات يوم الحساب منقلبه(٣٠٥)

فان كان قصد اليه ، وقوله صحيح ، فأصح منه أن يقول « كم قال ضيفي حين أبعثه » أو « .. حين أرسله » ، فبهما يستقيم الوزن والمعنى . وممن ادخل الباء على المبعوث ، عدا النابغة الجعدي وابن الرومي والمتنبي ، كثير من أهل الأدب ، وهذه نصوص جماعة منهم :

(١) جاء في « الكامل » للمبرّد : « وكانت للنعمان خمس كتائب ، احداها الوضائع ، وهم قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عُدّةً ومدداً ... فاذا كان في رأس الحول ردّهم الى أهليهم وبعث بمثلهم »(٣٠٦) .

---

(٣٠٣) سورة يونس ، الآية ٧٥ .
(٣٠٤) « الأغاني » ج٥ ص ٣٠ .
(٣٠٥) « ديوان ابن الرومي » شرح الشيخ محمد شريف سليم ج ١ ص ٢٢٩ ، طبعة دار احياء التراث العربي . بيروت . لبنان . وفي « الظرايف واللطايف » المنسوب خطأ الى الثعالبي (طبعة حجر بمصر سنة ١٢٨٣ هـ) جاء « احبسه » بدلا من أحتسبه ، و « فقصّر » بدلاً من « فقصرنا » ، وهو خطأ ظاهر .
(٣٠٦) ج٢ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ .

(٢) وجاء في « الأغاني » أن كسرى بعث رسولاً الى النعمان بن المنذر ومعه كتاب يأمره فيه باطلاق عدي بن زيد ، فدخل الرسول على عدي السجن قبل أن يواجه النعمان ، فقال له النعمان : « أيبعث بك الملك الي ، فتدخل اليه قبلي ؟ »[٣٠٧] .

(٣) وجاء فيه خبر رواه الهيثم بن عدي وأصحابه أن ليلى أخت بثينة علمت أن جميلاً العذري نائم مع بثينة في خبائها ، وأن زوجها يوشك غلامه أن يعلمه ذلك ، وجاء في تمام الخبر : « وبعثت بجارية لها وقالت حذري بثينة وجميلاً فجاءت الجارية فنبهتهما »[٣٠٨] .

(٤) وجاء فيه ، في خبر الكميت: «فبعث اليه بغلام على بغل وقال له: أنت حر إن لحقته والبغل لك »[٣٠٩] .

(٥) وجاء فيه ، في خبر شريح بن الحارث وعمر بن الخطاب : « فقال يا أمير المؤمنين أخذته صحيحاً سليماً على سوم ، فعليك أن ترده كما أخذته ، قال فأعجبه ما قال ، وبعث به قاضياً »[٣١٠] .

(٦) وجاء فيه أن علي بن جبلة الملقب بالعكوك قال : « زرت أبا دلف ؛ فكنت لا أدخل اليه الا تلقاني ببره وأفرط ، فلما أكثر قعدت عنه حياء منه ، فبعث الي بمعقل أخيه ، فأتاني فقال : يقول لك الأمير لم هجرتنا ؟ »[٣١١] .

(٧) وفي « المحاسن والاضداد » جاء في حديث رجل من بني عامر : « فلما طال عليهم أمري بعثوا بجارية لهم مولدة ، فأقبلت تعدو حتى أتتني

---

(٣٠٧) ج٢ ص ١٢١ .
(٣٠٨) ج٨ ص ١١٥ .
(٣٠٩) ج١٧ ص ٤٠ .
(٣١٠) ج١٧ ص ٢١٧ .
(٣١١) ج٢٠ ص ٢٤ .

ونشطت خطام الجمل من يدي .. »(٣١٢) .

(٨) وفي « كتاب نساء الخلفاء » المسمى « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء » جاء في خبر المأمون : « قال قد فهمت الرسالة ، فكن الرسول بالرضا ، ووجه بياسر الخادم فحملها » (٣١٣) . وقد أثبت هذا النص الاخير الدال على جواز « وجّه بالرجل » لأنه جُعل مع بعث في كلام الاستاذ أسعد خليل داغر ، وكلام استاذي رحمه الله . وكتاب « نساء الخلفاء » هو بتحقيق استاذي نفسه ، ولم يشر في أسفل صفحة الخبر الى أن الصواب حذف الباء الداخلة على « ياسر » ، وان كان ذلك ليس من غرضه في التحقيق .

(٩) وفي كتاب « بنيان الملوك المسمى بالمحاسن والأضداد والعجايب والغرايب » المنسوب الى الجاحظ ، جاء في خبر الحسن بن الامام علي وابن عباس ومعاوية ، ما هذا لفظه : « فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما ، فأتياه ، فدخلا عليه ، وبدأ معاوية فقال : « إني اجلّكما وارفع قدركما عن المسامرة بالليل ، ولاسيما أنت يا أبا محمد » (٣١٤) .

تصحيحاته التي سُبق اليها

لأستاذي العلامة الدكتور مصطفى جواد ، رحمه الله ، في كتابه « قل ولا تقل » نحو من خمسة وعشرين تصحيحاً ، سبقه اليها غيرُه ، ولم يُنَبّه على هذا السبق ، وأحسب أن طئة مرضه إيّاه ، وشبح الموت الذي لزمه ، واستعجاله في تأليف الكتاب ، وبعض المصائب التي أصابته ، كلُّ

---

(٣١٢) ص ١٧٩ .

(٣١٣) ص ٨٠ تأليف تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي . تحقيق الدكتور مصطفى جواد . دار المعارف بمصر . بلا تأريخ .

(٣١٤) الورقة ٧٢ من النسخة المخطوطة المحفوظة في المكتبة البريطانية بلندن برقم OR : 3089 .

اولئك جعله يسكت عن التنبيه سهواً ، فإن كان سكت عن ذلك متعمداً ، وذلك بعيد من حسباني ، فله أسوة بأكثر العلماء ، منذ العصور العباسية حتى زماننا هذا . على أنه كسا جُلّ تصحيحات من سبقوه أبراداً زاهية ، لما أضفى عليها من شروح وشواهد . وكنت نبهت على بعض تلك التصحيحات، وأنا منبّه ههنا على ما بقي منها ، توفيةً لحق النقد اللغوي العفّ ، وتوضيحاً لتدّرج التصحيحات اللغوية ، وكشفاً عما تعاور الاغاليط اللغوية من تصحيحات العلماء بلا جدوى ، لميل أكثر الناس الى اغماض عيونهم عن الصواب الذي لم يألفوه ، وفتحها على الأغاليط التي الفوها ، كسلاً عن صون تراثهم من اللغة العربية ، مع أن في هذا التراث مفاخر تأريخهم ، ومحاسن أخلاقهم ، وذخائر آدابهم وعلومهم .

يتسرّب فيه لا اليه

كان مما أشار اليه ، رحمه الله، من اغاليط الدكتور طه حسين ، قوله في كتابه « الأيام » : « تسرّب اليه بمعنى تسرّب فيه »[(٣١٥-٣١٦)] . وسبقه الى تصحيح تسرّب اليه الأستاذ أسعد خليل داغر مؤلف كتاب « تذكرة الكاتب » ، قال في كتابه هذا : « ويعدّون الفعل تسرّب بالى ، فيقولون : الأموال تسرّبت الى جيوبهم ، وفي كتب اللغة تسرّب الوحش في جحره وانسرب دخل ، فالصواب أن يقال تسرّبت في جيوبهم »[(٣١٧)] .

دُحر لا اندحر

وقال رحمه الله : « قل دحرنا جيش العدو فجيش العدو مدحور ،

(٣١٥) ص ٦ من كتاب « قل ولا تقل » .
(٣١٦) ص ٤٥ من كتاب « الأيام » .
(٣١٧) « تذكرة الكاتب » ص ١١٦ ، وقد اطلع رحمه الله على هذا الكتاب ، لنقده اياه فيما ذُكر آنفاً في موضوع « السكك الحديد والسكك الحديدية » .

ولا تقل اندحر جيش العدو فهو مندحر ـ ص ٣٢ » مع شرح يقرب من صفحتين .

وقد سُبق الى ذلك ، قال في « تذكرة الكاتب » : « ومن هذا القبيل قولهم : وانتهت المعركة باندحار جيش العدو ، فانهم يبنون اندحر من دُحر قياساً على قول العرب كُسر فانكسر وهزمه فانهزم ، ولكن أفعال المطاوعة مما يسمع ويحفظ ولا يُقاس عليه ، كما سبق الكلامُ غير مرّة ، فلم يُسمع اندحر من دُحر ولا انغلب من غُلب ـ ص ٩٨ » .

تخرّج في الكلية لا منها

وقال : « قل تخرّج فلان في الكلية الفلانية ، ولا تقل تخرّج من الكلية الفلانية ـ ص ٣٨ » مع شرح في نحو من صفحة ونصف الصفحة .

وسبقه اليه الشيخ ابراهيم اليازجي في كتابه « لغة الجرائد » ، قال : « ويقولون تخرّج على فلان وتخرّج في مدرسة كذا وهو خريج فلان » (٣١٨) .

تعرّفت الأمور لا تعرّفت بها

وقال رحمه الله : « قل تعرّفت الشيء والأمور وتعرّفت الى فلان واعترفت اليه واستعرفت اليه ، وقالت العامة تعرّفت بفلان ، ولا تقل تعرّفت الى الشيء والأمور ولا تعرّفت عليها ـ ص ٤٢ » مع شرح في ثلاث صفحات ونصف الصفحة .

وسُبق الى ذلك من قبل ، قال في « لغة الجرائد » : « ويقولون تعرّفت على فلان اذا أحدث به معرفة وهو من التعبير العامي ، ومن الغريب أن أصحاب اللغة لا يذكرون ما يعبّر به عن هذا المعنى ، لكن جاء في كتب

---

(٣١٨) « لغة الجرائد » ص ٥٤ ، وكانت وفاة المؤلف سنة ١٩٠٦ م ، وقد اطلع استاذي رحمه الله على هذا الكتاب ، لنقده اياه في موضوعنا « خصصه له وخصصه به » المذكور آنفاً .

المولدين تعرّفت به مُعَدّى بالباء ، وهو مبني على قولك عرّفته بـــه اذا جعلته يعرفه ، على ما يؤخذ من عبارة المصباح ، وقد ورد مثل هـــذا في الأغاني في أخبار عُبادل ونسبه وهو قوله : فحركت بعيري لأتعرّف بهنّ وأنشدهنّ ، ومثله بعد سطر ، وفي نفح الطيب في الكلام على يوسف الدمشقي ، وكان من الذين أخفاهم الله لا يتعرّف به الا من تعرّف له ، أي أظهر له معرفته نفسه ، ومثله في كلام ابن بطوطة وغيره مما لا حاجة الى استقصائه ، وفي كل ذلك كلام لا محل له في هذا المقام ـ ص ٤٣ » .

داسته السيارة أو دعسته لا دهسته

وقال : « قل دعسته السيارة دعساً وداسته دوساً ، ولا تقل دهسته دهساً ـ ص ٥٤ » مع شرح في صفحتين .

وجاء من قبلُ في « تذكرة الكاتب » : « يقولون سقط فلان تحت القطار فدهسه وأماته ، ولم يُسمع من العرب استعمال دهس بهـذا المعنى فالصواب أن يقال داسه مستعاراً من الدوس بالأقدام ، ولعلّ دهســـه محرّف دعسه أي وطئه شديداً ـ ص ٤٤ » .

كتاب شـــائق لا شـــيّق

وقال : « قل انسان شيّق أو شيّق القلب ، وكتاب شائق الموضوع وموضوع شائق ، ولا تقل كتاب شيّق الموضوع ولا موضـــوع شيّق ـ ص ٥٦ » .

وقبله جاء في « تذكرة الكاتب » : « ويقولون حديث شيّق ومقالة أو خطبة شيّقة ، فيستعملون هذه الصفة بمعنى شائق أي داع الى الشـــوق وهو خطأ لأنها بمعنى مشتاق ، فيقال رجل شيّق وقلب شيّق ، قال المتنبي :
ما لاح برق أو ترنمّ طائر   الا انثنيتُ ولي فؤاد شيّق ـ ص ٣١ »

ثُكْنة لا ثَكَنَة

وقال : « قل ثُكنة الجند والجيش ولا تقل ثَكَنَة الجند والجيش ـ ص ٦٥ » مع شرح في نصف صفحة •

قلتُ : كان ينبغي أن يذكر شكل ثُكنة الصحيح وهو « بضم الثاء فسكون الكاف » ، وشكلها الغلط وهو « بفتح الثاء والكاف » ، لأن الاعتماد على شكل المطبعة غير كاف • وسبقه الى هذا التصحيح الأستاذ كمال ابراهيم في كتابه « أغلاط الكتاب » ، قال : « الثُكْنة العسكرية : والناس جميعهم يلفظون الأولى بفتحتين والصواب ضم الثاء وتسكين الكاف والجمع ثُكَن بضم الثاء وفتح الكاف وثكنات ، وفي اللسان : وثُكَن الجند مراكزهم واحدها ثُكْنة ، وقال الليث الثكن مراكز الأجناد على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم ، وإن لم يكن هناك علم ولا لواء وواحدها ثُكنة » (٣١٩) •

يرأَس رآسة لا يرئِس رئاسة

وقال : « قل يرأَس اللجنة والقومَ ولا تقل يرئِسها ولا يرئِسهم ـ ص ٦٠ » مع شرح في نحو صفحتين •

وقبله جاء في « تذكرة الكاتب » : « ويقولون دُعي ••• لكي يرئِس الحفلة وافتُتحت الحفلة برئاسة فلان فيكسرون عين الفعل رأَس في المضارع ويأتون بمصدره على وزن فِعالة والصواب أن يكون المضارع

(٣١٩) « اغلاط الكتاب » ج١ ص ٨ • المطبعة العربية • بغداد ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م ، وهذا الكتاب أخذت أكثر مواده من كتاب « تذكرة الكاتب » للاستاذ أسعد خليل داغر ، وكتاب « لغة الجرائد » للشيخ ابراهيم اليازجي ، وفيه مواد قليلة جديدة لم يُسبق اليها كقوله هذا في ثُكْنة ، وتصحيحه بعقوبة ببعقوبا وخانقين المفتوحة النون بكسرها وتكريت المكسورة التاء بفتحها والحمام الزاجل بحمام الزاجل •

مفتوح العين والمصدر على فَعَالة • تقــول رَأَس القومَ يرأَســـهم رَآسة ـ ص ٨١ » •

استُهتِر بالخمر لا استَهْتَر

وقال : « قُل استُهتِر فلان بالدنيا واستهتر بالخمــــر واستُهتِر الزاهد بعبادة الله واستُهتِر غيره بالنساء ، فالأول مستهتَر بالدنيا ، والثاني مُستَهتَر بالخمر ، والثالث مُستَهتَر بعبادة الله ، والرابع مُستَهتَر بالنساء ، ومعنى استُهتِروا بها وبهنّ أنهم أولعوا بهنّ ايلاعاً كثيراً وأحبّوهن حبّاً جمّاً ، تجاوز المعقول المقبول ، ولا تقل استَهْتَر فـلان ولا فـلان مستهتِر ـ ص ٧١ » مع شرح في صفحة •

وممن نبّه على ذلك من علماء العصر العباسي ابو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي في كتابه « تقويم اللسان » ، قـال ناقلا عن غيره : « تقــول استُهتِر فلان بكذا بضم التاء الأولى وكسر الثانية على ما لم يُسَمّ فاعله ، والعامة تفتح التاءين » (٣٢٠) •

أثّر فيــه لا عليــه

وقال رحمه الله : « قُل أثّر فيه ، والتأثير فيه ، ولا تقل أثر عليه والتأثير عليه ـ ص ٨٧ » مع شرح في ثلاث صفحات •

وقبله ، جاء في « تذكرة الكاتب » : « ويعدّون الفعـــل أثر بعلى فيقولون أثر عليه ، وفي كتب اللغة أثر فيه تأثيراً ، أي جعل فيه أثراً وعلامة ، فالصواب أن يعدّى بحرف الجر ـ ص ٥٩ » •

---

(٣٢٠) « تقويم اللسان » • تحقيق الدكتور عبدالعزيز مطر • دار المعرفة • القاهرة • الطبعة الأولى ١٩٦٦ م •

كابد العدوّ خسارة ، لا تكبّد خسارة

وقال : « قل كابد العدو خسارة كذا وكذا ولا تقل تكبّد العدوّ الخسارة ـ ص ٨٤ » مع شرح في ثلاث صفحات •

وقال قبله صلاح الدين سعدي الزعبلاوي في كتابـــه « أخطاؤنا في الصحف والدواوين » : « تكبّد وكبّد : المكابدة المعاناة صحيحة • قال صاحب المصباح : والكبد بفتحتين المشقة من المكابدة للشيء وهو تحمل المشاق في فعله • وقال صاحب الأساس : وتقول للخصماء إنهم لفي كبد من أمرهم ، وبعضهم يكابد بعضاً ، والمسافر يكابد الليل اذا ركب هوله وصعوبته • أما تكبّد كتحمّل وكبّده كحمّله فليس بشيء • وقد أشار الى ذلك الأستاذ داغر »(٣٢١) ، يريد به أسعد خليل داغر ، فانه قال قبلهما في تذكرة الكاتب : « ويقولون كبّده عناء جزيلاً وتكبد في عمله تعباً لايوصف ، فيستعملون كبّد بمعنى جشّم وكلّف ، وتكبّد بمعنى عاني وقاسى • وفي اللغة كبدت الشمس وتكبّدت صارت في الكبيداء أي وسط السماء ، وتكبّد الشيء قصده ، فالصواب أن يقال في الأول : جشّمه أو حمّله عناء جزيلاً وفي الثاني كابد في عمله الخ ـ ص ٣٥ و ٣٦ » •

تصحيح « واطىء »

وقال رحمه الله : « قل مكان وطيء وخفيض أي منخفض ولا تقل مكان واطىء ـ ص ٩٨ » مع شرح في نصف صفحة •

وقبله ، جاء في « لغة الجرائد » : « ويقولون مكان واطىء وقد وطىء المكان أي انخفض واطمأن ولم يرد من هذا الا قولهم الوطاء بفتح الواو وكسرها والميطاء لما انخفض من الأرض بين النشاز والاشراف ، يقال هذه أرض مستوية لا رباء فيها ولا وطاء ، أي لاصعود فيها ولا انخفاض ولم يسمع من هذا فعل ـ ص ٤٤ » فاتفقا في التنبيه على الخطأ واختلفا في تصحيحه •

---

(٣٢١) ص ٢٥٢ •

أُسست المدرسة لا تأسست

وقال : « قل أُسست هذه المدرسة في السنة الأولى من حكم فلان ، وأُسس المسجد على عهد فلان ، ولا تقل : تأسست المدرسة وتأسس المسجد ـ ص ١٠٨ » .

وقبله ، ورد في كتاب « أخطاؤنا في الصحف والدواوين » : تأسس : مطاوعاً لأسّس ليس من اللغة ، فالوجه أن يُقال : أُسّس على البناء للمفعول وقد نبّه اليه كثيرون ـ ١٥٦ »[٣٢٢] .

وسبقهما الى ذلك الشاعر معروف الرصافي في كتابه « دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة» . قال، وفي قوله الآتي شيء من الالفاظ التركية : « تأسس يستعملونه بمعنى القيام والظهور كقولهم : بوحكمت فلان تاريخده تأسس ايتمشدر ، أي قامت وظهرت ، وبمعنى التمكن والتشكّل ايضاً ولا أصل له في العربية»[٣٢٣] ، وقد جاءنا هذا الغلط ، وغيره كثير، من اللغة التركية. قال الرصافي في مقدّمة كتابه المذكور ، في الألفاظ التي صحّحها : « فان هذه الألفاظ منها ما استعمله أهل اللسان العثماني في غير معناه العربي ومنها ما لم يكن عربياً وهم يحسبونه عربياً ، وقد أخذها العرب منهم فاستعملوها استعمالهم وهم لايشعرون وذلك لكثرة الاختلاط بين الفريقين ... » .

جـواز السفر

وقال رحمه الله : « قل جواز السفر وأجوزة السفر وجوازاته ولا تقل پاسپورت ـ ص ١١٠ ، مع شرح في نحو صفحة جاء في أوّله : « وذلك لأن العرب تسمى هذا الأذن المكتوب (الجواز) على وزن المتاع وتجمعه قياساً وسماعاً على أجوزة كأمتعة » .

---

(٣٢٢) قلت : قوله « نبّه اليه » غير فصيح ، والفصيح « نبّه عليه » ، قال في مختار الصحاح « ونبّهه أيضاً على الشيء وقّفه عليه فتنبّه هو عليه » وبذلك جاءت نصوص الادب القديم .

(٣٢٣) الطبعة الاولى في الاستانة ١٣٣١ هـ مطبعة صداي ملت .

وسُبق الى ذلك في « أخطاؤنا في الصحف والدواوين » ، جاء فيه : « الجواز : لصك المسافر شائع وليس يحتاج أن يُضاف الى السفر • قال صاحب الأساس : وخذ جوازك وخذوا أجوزتكم وهو صك المسافر لئلا يُتَعَرَّض له ، وجمع الجواز أجوزة كما رأيت كزمان وأزمنة وأوان وآونة ومكان وأمكنة ــ ص ١٦٢ » •

مازال ولازال

وقال : « قل ما زال الخلاف قائماً ولم يزل قائماً وما زلت أقرأ ، ولا تقل لازال الخلاف قائماً ولا زلت أقرأ ــ ص ١١٤ » •

وهو مسبوق الى ذلك في « لغة الجرائد » ، ورد فيه : « ويقولون في مقام الاخبار لا زال زيد يفعل كذا ، يعنون ما زال يفعل ، ولا تدخل على الماضي الا مع التكرار أو العطف على منفيّ نحو : لاصدّق ولا صلّى ، وما زرت زيداً ولا زارني ، والا صار الكلام معها إنشاء وانقلب زمان الفعل الى الاستقبال ــ ص ٥١ » •

هــو عائل وهم عالــة

وقال : « قل هو عائل على غيره وهم عالة على غيرهم ، ولا تقل : هو عالة على غيره ــ ص ١١٥ » •

وهو مسبوق الى ذلك في «ذيل الفصيح لثعلب» لعبداللطيف البغدادي، جاء في باب ما تغيّر العامة لفظه بحرف أو حركة : « وعال يعيل افتقر فهو عائل أي فقير والجمع عالة فأما العِيال فهم الذين يعولهم الرجل أي يمونهم ••• »(٣٢٤) •

---

(٣٢٤) ص ١٠٩ الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ ــ ١٩٠٧ م مطبعة السعادة بمصر • والكتاب في مجموع عنوانه « الطرف الادبية لطلاب العلوم العربية » •

ينبغي لك لا ينبغي عليك

وقال : « قل ينبغي لك أن تعمل ولا ينبغي لك أن تكسل ، وينبغي لك العمل ولا ينبغي لك هذا الشيء • ولا تقل : ينبغي عليك أن تعمل ، ولا تقل ينبغي عليك أن لا تكسل ـ ١٢١ » مع شرح في صفحتين •

وهو مسبوق الى ذلك بما جاء في « لغة الجرائد » ، هو : « ومن ذلك قول بعضهم ينبغي عليك أن تفعل كذا ، فيعدّونه بعلى لظنّهم أنه بمعنى يجب ، وليس كذلك لانه في الأصل مطاوع بغى الشيء بمعنى طلبه فكأنه قيل يتطلب لك وإن كان لايجوز أن يقال انبغى وانطلب بهذا المعنى ، ولكنه من الالفاظ التى جرت كذلك على ألسنة العرب والزمت وجهاً من الاستعمال لاتتعداه ، وهو يستعمل عندهم بمعنى يجوز ويصلح ويتيسّر ولم يسمع عنهم موصولاً باللام ومنه : لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، وما علمناه الشعر وما ينبغي له • ولا يكاد يستعمل الا بصيغة المضارع كما رأيت ولذلك يعدّه أكثرهم من الافعال الغير المتصرفة ـ ص ٦ » •

صادره على المال واستصفى ماله لا صادر ماله

وقال : « قل صادره على المال او استصفى أمواله أو استنظف أمواله أو استولى عليها أو استحوذ عليها وصادره على السلاح ولا تقل صادر أمواله وسلاحه ـ ص ١٤٢ » مع شرح في صفحتين •

وسبق الى ذلك في « تذكرة الكاتب » ، جاء فيه : « ويقولون صادرت الحكومة أمواله وأمرت بمصادرة أملاكه ، فيستعملون الفعل صادر بمعنى أخذ أو حجز ، والمصادرة في كتب اللغة المطالبة أو الالحاح فيها فلا تفيد المعنى المراد في المثالين ، وانما يفيده الاستصفاء ، يقال استصفى ماله أي أخذه كله ـ ص ١٠٧ » •

معـــاً لا ســـوية

وقال : « قل ذهبا معاً وجاءا معاً ولا تقل ذهبا سوية ولا جاءا سوية ،

وقل ذهبوا معاً وجاؤوا معاً ولا تقل ذهبوا سوية ولا جاؤوا سوية ــ ص ١٤٦ » مع شرح في نحو صفحة ونصف الصفحة .

وجاء من قبل في « تذكرة الكاتب » : « ويقولون ذهبوا اليه سوية فيستعملون سوية بمعنى المصاحبة والاجتماع وهي بالحقيقة مؤنث سوي بمعنى الاستواء والمستوي والانصاف ، يقال هم على سوية في هذا الأمر ، وقسمت الشيء بينهما بالسوية ــ ص ٣٨ »(٣٢٥) .

حمام الزاجل لا الحمام الزاجل

وقال : « قل : هذا الحمام من حمام الزاجل بالاضافة أي الحمام الهوادي او الهادي أو الهُدّى وحمام البطائق والمراسلة ، ولا تقل : من الحمام الزاجل على النعت ــ ص ١٨٣ » مع شرح في صفحة ونصف الصفحة .

وسبقه الى ذلك الأستاذ كمال ابراهيم في « أغلاط الكتاب » ، قال : « ولا يصحّ أن يقال الحمام الزاجل ، كما يغلط فيه كثير فيظن الزاجل صفة الحمام ، والزاجل اسم فاعل من زجل الحمام أي أرسلها على بعد ، وهي حمام الزاجل أو الزجال أي حمام المرسل ــ ص ٢٠ » .

---

(٣٢٥) كنت نشرت كلمة في جريدة « البلد » البغدادية ، وصاحبها الاستاذ عبدالقادر البراك ، يومي ١٥ و ١٦ــ١٢ــ١٩٦٦ عنوانها « القول المصيب في رماد اللهيب » بكنيتي ، وهي « ابو خلدون » ، انتقدت فيها مقالات للاستاذ عامر رشيد السامرائي ، وجاء في كلمتي ماهذا لفظه : « وقال الناقد لنستمع سوية الى قوله ، والصواب لنستمع معاً ، ومنه قول متمم بن نويرة : لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً . وجاء في « مختار الصحاح » : قسم الشيء بالسوية أي بالعدل .... » الى آخر ماهناك ، فاقتضى التنبيه لاثبات نسبة الكلمة اليّ .

آخر الكتاب

انتهى بهذا كتاب « الاستدراك على كتاب قل ولا تقل » ، وقد عمدت فيه الى الايجاز ، لأن القليل مما يؤكل يعصم ، والكثير منه يبشم • وليس بغريب أن يستدرك تلميذ على أستاذه ، فقد ورد في كتب الأدب القديم وغيرها نحو من ذلك • وما ادّعي فضل علم على الرجل ، فما أنا الا مقتفٍ لخطاه ، ومهتدٍ بصواه ، وهيهات أن أشقّ غباره ولو بذلت الوسع واستنفدت الطاقة • ثم إنه كان قبيل وفاته وقف على استدراك لي على ابن جني في كتابه « التمام في تفسير أشعار هذيل » (٣٢٦) وبضعة استدراكات على محققيه ، فأيدني فيها ، وحضني على نشرها ، فأبيت قائلاً : كيف استدرك وأنت المشرف على تحقيق الكتاب ؟ فردّ عليّ قولي منكراً إياه ، وقال : لا أُبالي أن أستدرك على اصدقائي لخدمة اللغة العربية • وقال إنه نبّه على أغاليط صديقه الشيخ محمد رضا الشبيبي في كتابه « مؤرخ العراق ابن الفوطي » في نحو مئتي صفحة ، فوثق ذلك من عرى صداقتهما •

على أني داخلني التلكوء والتردد حين فكرت أن ادوّن هذا الاستدراك على أستاذي العلامة الدكتور مصطفى جواد ، وذلك لاكباري علمه الغزير ، وتوقيري مكانته الجليلة ، ولو كان رحمه الله حياً لخالطت الهيبة جناني ، واختل نسق بياني ، وتبلد قلمي عند اجرائه في مضمار الاستدراك ، وقديماً قال مهلهل بن ربيعة :

وتكلموا في أمر كلّ عظيمة
لو كنت شاهد أمرهم لم ينبسوا

وعسى أن تسخو نفس القارىء بتنبيهي على ما جاء في كتابي هذا من عثرات ، لأقيلها في طبعة قادمة ، وقد قيل قديماً : من غربل الناس نخلوه ، والعصمة من الخطأ لله وحده •

---

(٣٢٦) حققه وقدّم له : أحمد ناجي القيسي ، وخديجة عبدالرزاق الحديثي ، وأحمد مطلوب • وراجعه الدكتور مصطفى جواد • مطبعة العاني • بغداد• ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م •

الفهرس

الصفحة

١٠٠٠/٣٠٩

١٩٧٧/٧/١٦

AL-ISTIDRAK
Ala Kitab "Qul Wala Taqul"

PHILOLOGICAL RESEARCH ON THE BOOK
"QUL WALA TAQUL"
BY PROF. DR. MUSTAFA JAWAD

By

MR. SUBHI M.J.K. AL-BASSAM

AL-MA'AREF PRESS, BAGHDAD

1397 A.H. - 1977 A.D.

ثمن النسخة ٥٠٠ فلس